آفاق خدمة النشر

في الدراسات القرآنية

إعداد

د. محمد عدنان سالم

المدير العام لدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق ــ سوريا

المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في القرآن الكريم وعلومه

1. تعاريف موجزة

تتمحور خدمة النشر عامة، والدراسات القرآنية خاصة؛ حول الكتاب. والكتاب تتضافر جهود عدد من العاملين على إنتاجه؛ هم: المؤلف، والناشر، والطابع، والموزع؛ ليصل أخيراً إلى يد القارئ، الذي تكتمل به الحلقة، فينخرط فيها، وبه تبدأ دورة تفاعلية جديدة، ليكون مستهلكاً للكتاب، ومنتجاً له في آن. ولا بد لنا من تعريف موجز بالكتاب والأطراف المعنيَّة به، للوقوف على دور كل منها فيه.

الكتاب: خزانة المعارف الإنسانية، ومستودع التجارب البشرية المتراكمة، يحفظها السلف للخلف، كي ينطلق الخلف منها، ويبني عليها؛ موفراً على نفسه عناء التكرار والإعادة.

و(الكتاب)- إذا أطلق - فإنه يعني كلمة السماء. ففي الصحف الأولى بدأت الأرض تقرأ سطور الحضارة.

وليس شيء في الدنيا أشرف ولا أقدس من (الكتاب).

وكلُّ ما يتصل بالكتاب، أو يشتق لغوياً منه، أو يتعامل معه؛ صناعة أو استهلاكاً، فإنه يستمد منه هذا الشرف وهذه القداسة.

ولقد تكرر ذكر مصطلح (الكتاب) في القرآن الكريم أكثر من مئتي مرة كما تكرر ذكر (القلم) وما يَسطر، و(الكلمة) الطيبة، وحق (التلاوة)، فضلاً عن مصطلحات: القراءة، والتدبر، والعقل، والنظر، والتفكر، والسمع، والبصر، والفؤاد، بوصفها وسائل المعرفة الموصلة إلى (العلم).

وآخر كتاب تلقته البشرية من السماء هو (القرآن).

و(القرآن) يمثل الثابت من القيم، والفرقان من الكلم، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلَق من كثرة الرد، وهذا هو سرّ إعجازه. وبذلك بقي (القرآن) وسيبقى ملهماً للبشرية في أجيالها المتعاقبة؛ يرتشف منه كل جيل ما يضيء له السبيل، ويرتقي بفهمه وتفسيره له، على قدر ارتقاء معرفته ونمو طاقته العلمية.

ولقد كان انقطاع الوحي من السماء، بمثابة الإجازة العلمية للعقل البشري كي يبدأ بالعمل، وكان إعلاناً عن محو (الأمية)، وإيذاناً ببداية عصر (العلم).

المؤلف: هو صانع الأفكار موضوعِ الكتاب.. هو صاحب النص ومبدعه، والمالك الوحيد لحق نشر مخطوطه. وهو -عادة- يبحث عن ناشر يبيعه هذا الحق، ويتعاقد معه على دفع مبلغ معين؛ محدد سلفاً، أو بنسبة من سعر بيع الكتاب، أو يشاركه في الربح.

والناشر: هو المخطط والمنظم والمجمِّع؛ الذي يأخذ بزمام المبادرة والمغامرة في مشروع إنتاج الكتاب: يتسلم المخطوط من المؤلف، ويراجعه ويهيئه ويدفعه إلى المطبعة، ويتولى تصحيحه وإخراجه ثم إيصاله إلى القارئ.

ووضعه يجعله في مركز الرؤية الشاملة المحيطة التي لا تتيسر لباقي الأطراف. لذا فإنه يتحمل المسؤولية الأكبر، لرؤيته كل الأبعاد، وأخذِها بالاعتبار.

والطابع: هو الصانع الذي يتسلم المخطوط من الناشر، ويقوم بعمليات الصف والطبع والتجليد وفقاً لتعليماته. فعمله يقتصر على تنفيذ طلبات الناشر، وواجبه يتركز في جودة الطبع، والمتابعة لمواعيد الإنتاج، والمثابرة على تهيئة الملاكات الفنية والآلات الحديثة للحصول على أفضل النتائج.

والموزع: هو الحلقة الأخيرة في صناعة الكتاب؛ فهو مروِّجه. ويتركز عمله في توصيل الكتاب إلى القارئ، وواجبه أن يهتم بإيجاد الكتاب أمام الأعين، وتوسيع وسائل العرض في المكتبات والمراكز الثقافية، وأماكن التجمع العامة.

والقارئ أخيراً: هو المستهلك والمنتفع والمستفيد من هذا الإنتاج، الذي تضافرت جهود عديدة لإيصاله إليه. وعليه أن يحسن الاختيار لما يقرأ، ويحسن التدبر والفهم والنقد لما يقرأ، ويحسن الانتفاع والعمل بما يقرأ.

هذه الأطراف الخمسة: المؤلف والناشر، والطابع والموزع والقارئ، هي أطراف شديدة الارتباط والتفاعل والتكامل. وإن التعاون بينها لازم وضروري للنهوض بصناعة الكتاب، في هذا الوقت الذي يعيش فيه العالم فترة نمو ثقافي وتحول حضاري سريع، لم يشهدها من قبل في تاريخه الطويل.

وإذا كنا قد أدرجنا القارئ ضمن أطراف صناعة الكتاب مع أنه المستهلك له، فإنما أدرجناه عن قصد، فوعيه القرائي أو قراءته الواعية، عنصر أساسي في توجيه إنتاج الكتاب، وإقباله على نوعٍ من الكتب أو عزوفه عنه عامل هام مشجع أو مثبط.

وهكذا تتوزع هموم (الكتاب) بين هذه الأطراف.

2. الدراسات القرآنية في لحظة التحول الكبير

لئن كانت مهمة هذا المؤتمر، استيعابَ ماضي الأمة وحاضرِها تمهيداً لتخطيط مستقبلها، في ضوء الدراسات القرآنية المعمقة؛ فإن علينا أن نعيَ اللحظة الدقيقة الراهنة التي يفور فيها المجتمع العربي، لطيِّ صحيفة حقبة مظلمة من تاريخ الأمة العربية؛ سُطرت على مدى أكثر من ستين عاماً، واتسمت بنزعات التفرد والاستبداد والفساد، وتضخيم دور السلطة، وتهميش دور المجتمع،وإقصائه عن دائرة الفعل.

قبل بداية هذه الحقبة المظلمة عام 1949، كان المجتمع العربي –بكل أنظمته الجمهورية والملكية– ما يزال ماضياً في مساره النهضوي الذي بدأه– منذ أواسط القرن التاسع عشر– مع جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي، وعبد الحميد بن باديس، والطاهر بن عاشور، وجمال الدين القاسمي، وعلال الفاسي، والخضر حسين، وخير الدين التونسي، ومحمود شكري الألوسي، وبقية ركب

الإصلاح؛ يصارع الاستعمار والجهل والتخلف، ويتطلع إلى التحرر وبناء دوله المستقلة على أسس ديمقراطية حضارية؛ مبنية على التعدد والتعارض والتدافع؛ موقناً أن «بارقة الحقيقة لا تنقدح إلا باحتكاك الآراء وتصادمها».

أدرك المستعمر- بعد تنفيذ مخططه لتمزيق الأمة العربية في سايكس بيكو- أن مناخ التعدد سوف يكشف خططه، فزيَّن لشعوبها أن أنظمة التفرد ستكون الأقدر على الإنجاز في مرحلة البناء، ولم تفطن هذه الشعوب إلى أن هذه الأنظمة الفردية التي غضَّ طرفه عن قيامها؛ كانت ضرورةً من ضرورات تمرير المشروع الصهيوني، لاقتلاع شعب من أرضه، وإحلال أشتات يهود مكانه!! وأن تغييرها لاسترداد حريته سوف يكلفه الكثير من التضحيات وإراقة الدماء.

لن تكف دوائر الاستعمار عن التآمر، والتخطيط لاحتواء انتفاضة الشعوب في ربيعها العربي الذي أذهل العالم.

لكن وعي المجتمعات العربية- وهي تخرج من تجربتها المريرة، وفي أيدي شبابها أدوات الاتصال والمعلوماتية التي زودهم بها عصر المعرفة- سوف يعينها على استلهام القرآن الكريم سُبُل الخروج من المحن، وتجاوزِ المخططات والمؤامرات وحسنِ التعامل معها.

إنها لحظة من لحظات التحول النادرة في تاريخ أمتنا العربية.

3. الدراسات القرآنية بين مناخي الاستبداد والحرية

«إن أكبر مصدر للطاقة لا يقدم لنا من القوة ما يقدمه كتاب صغير»[1].

والكتاب كلمة، والكلمة إنما تستمد قوتها من الحرية.. منها تكسب مصداقيتها، وفي مناخها تظهر فعاليتها وتأثيرها، وبها تتمايز فتكون {كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابتٌ وَفَرْعُها فِي السَّماءِ (*) تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها} أو تكون كلمة خبيثة {كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ} [إبراهيم 14/24-26]. ومن احتكاك الكلمة الطيبة مع الكلمة الخبيثة وتصادمهما تنبثق بارقة الحقيقة، وينمو الفكر، ويزيد الله في الخلق ما يشاء: {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ} [الرعد 13/17].

هكذا يكون التعدد والاختلاف وحرية الرأي والتعبير فطرة الله التي فطر الناس عليها،والمناخ الملائم لتقدم الإنسان، ولأجل ذلك عدَّ الله تعالى الاختلاف آية من آياته، وغاية للخلق {وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ

[1] (مقولة لليف فلا ديمير)

لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ (*) إِلاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود11/118-119].

وبانتفاء التعدد والاختلاف، يخرج الإنسان عن غاية خلقه، ويعقم فكره؛ إذ النماء لا يكون إلا بالتزاوج، ولولا التعدد لعم الفساد {وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ} [البقرة 251/2] و{لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ} [الحج 40/22].

وفي غياب التعدد تنحرف الكلمات عن معانيها فترى الناس {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} [المائدة 13/5]، وتنقلب الكلمات إلى أقوال يعوزها التطبيق {يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ (*) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ} [الصف 2/61-3]، أو تقال بالإكراه تقيةً، والقلب مطمئن إلى ضدها {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} [النحل 106/16].

ويذكر القرآن الكريم فرعون، نموذجاً للاستبداد السياسي والتسلط، يكرره في 74 آية، ليحذرنا من الركون إلى نظائره من الأنظمة الفرعونية المتألهة: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص 38/28] {مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ} [غافر 29/40]، {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي} [الزخرف 51/43]. {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ} [الزخرف 54/43]، {فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ (*) فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ} [الزخرف43/55-56].

ومن طبائع أنظمة التفرد والاستبداد؛ تغليب القول على الفعل،والشعار على الحقيقة والواقع. فإذا بها ترفع شعار الوحدة؛ لتمزق به الأمة إرباً إرباً على أرض الواقع. وتنادي بالحرية؛ لتعمد إلى تكميم أفواه شعوبها واستعبادها. وتتشدق بالاشتراكية؛ لتستأثر بالثروة، وتسوِّي بين الناس بإفقارهم جميعاً.. هكذا نستطيع فهم فقدان الكلمة قوتها وفاعليتها، إذ أصبحت إملاءً يمليه الزعيم الأوحد، وتردده جوقة المؤيدين والمستلَبين، من طرف واحد، ولا رجع صدى، أو صوتاً ينقد أو يعارض!!

ومن طبائع أنظمة الاستبداد أيضاً تغليب الشكل على المضمون، والكم على الكيف؛ وهو ما يبدو واضحاً في موضوعنا عن الدراسات القرآنية ؛ إذ نلاحظ خلال هذه الحقبة، اهتماماً بالرسم القرآني، ومعاهد تحفيظ القرآن، وفضائيات تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، وتركيزاً على الزخرفة والتلوين في الطباعة وأحكام التجويد، وإقبالاً من الزعماء على طباعة مصاحف تحمل أسماءهم، وشيوعَ ظاهرة إهداء المصاحف في المناسبات؛ حتى تكدست المصاحف في البيوت؛ تشكو الوحشة والهجر، وتخصصت لتلبية الطلب المتزايد عليها مطابع ودور للنشر.

ولعل مما يبعث على الريبة في هذا الاهتمام الشكلاني بالقرآن، ما نلمس وراءه من تهميش واستبعاد لنصوصه من مناهج التعليم والكتب المدرسية والشواهد النحوية،واقتصارها على الدراسات

الدينية.. وما نلمسه كذلك من تضاؤل الاستشهاد بآياته في القضايا العامة والدراسات المنوعة، بعد أن كان محوراً لحياة المسلم وفكره ونشاطه اليومي.

وإذ أحمِّل حقبة التفرد والاستبداد مسؤولية إقصاء القرآن عن حياة المسلم، وإحاطتِه بهالة من التقديس؛ تحنطه إذ تخرجه عن دائرة الفعل، فإني أرى عودته الفاعلة إلى ضمير الإنسان المسلم؛ أولوية قصوى لأجيال الغد المنتظر، الذي بدأت براعمه تتفتح في هذا الربيع العربي الواعد، ومسؤولية كبرى في أعناق الناشرين العربِ والمسلمين.

لقد بذلت الأجيال الأولى جهوداً خارقة في خدمة القرآن الكريم؛ كتابة ورسماً، وتفسيراً وقراءات، وبحثاً عن أسباب الترول، وإعراباً وبلاغة وإعجازاً؛ أضافت إليها الأجيال التالية إضافات تتفاوت بحسب مكتسباتها المعرفية المستجدة.

غير أن مسؤولية الجيل الراهن لخدمة القرآن الكريم واستخراج مكنوناته؛ تتضاعف:

1- نظراً للتحدي الكبير الذي خلقته جهود العلمنة الطاغية من جهة، وانحراف الخطاب الإسلامي عن منهجه الدعوي من جهة أخرى.
2- ولطول أمد التخلف والكلالة الذي عانت منه الأمة في مسارها خارج دورتها الحضارية.
3- وللإمكانات الكبيرة التي أمدته بها ثورتا المعلومات والاتصالات، ويسرت له سبل البحث والتحليل والإحصاء.

4. مستقبل الدراسات القرآنية في عصر المعرفة

في حياة البشرية – منذ أن {أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الإنسان1/76] – تحوُّلات كبرى؛ تقلَّب فيها من عصر الصيد، إلى عصر الرعي، إلى عصر الزراعة، إلى عصر الصناعة.. كان في كل تحولٍ منها، يبدِّل أدواته، ووسائله، وطرق إنتاجه،فتتبدل معها عاداته وتقاليده وعلاقاته وقيمه، ويتضاعف إنتاجه خمسين ضعفاً عما كان عليه في السابق.

والكتاب أحد وسائل الإنسان التي رافقت التحولات كلها، وتطورت معها، مستفيدة من تقنياتها الجديدة كلها؛ من الرمز إلى الحرف إلى النقش على الحجر، إلى الكتابة على الطين والعظام وجلود الحيوانات، وسعف النخيل، إلى الكتابة على الورق منذ اكتشافه، إلى الطباعة منذ غوتنبرغ، وقد ذكر لنا القرآن الكريم الكتاب، وكل ما يتصل به من صفات وأدوات {كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ} [الأنبياء 104/21] {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ} [العنكبوت 48/29] {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ} [الأنعام 7/6] {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا} [الإسراء

13/17]. {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ *} [القلم 1/68] و{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي} [الكهف 109/18].

الآن؛ والعالم يشهد أعظم تحوُّلٍ في تاريخ البشرية؛ من عصر الصناعة إلى عصر المعرفة، في طريقه إلى عصر الحكمة–الذي سيختتم به وجوده على هذه الأرض، وكفاحه المرير لأداء الأمانة التي تصدى لحملها، بعد أن أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها- كيف سيتكيف مع هذا العصر ومستجداته ومتغيراته ومتطلباته؟!

العصر الصناعي، كان يعتمد على الأشياء المتمثلة في الآلة والمواد الأولية، وعلى العمالة اليدوية، وكل منها متفاوت الوجود بين الأمم، أما عصر المعرفة فهو يعتمد على الأفكار والعمالة الفكرية، والفكر موزع بين الأمم بالتساوي، يفوز بالسباق فيه من كان أكثر إعمالاً لعقله!!

«إنه التغيير غير المسبوق في الطبيعة الإنسانية؛ أول مرة يمتلك الخيارات عدد كبير من الناس؛ يتزايد بسرعة.. أول مرة يدير الناس أنفسهم بأنفسهم، والمجتمع لم يتهيأ لذلك بعد»[1].

ولعل السبب الرئيسي في الأزمة الاقتصادية العالمية الراهنة، أن العالم الذي يعيش الآن عصر المعرفة ما يزال يدير مؤسساته بعقلية العصر الصناعي. «إن منظومة التفكير التي كانت سائدة في العصر الصناعي.. لن تعمل في عصر عمال المعرفة والاقتصاد الجديد»[2].

وربما كان التحدي الكبير الذي يواجهنا، ونحن نحاول رسم مستقبل الدراسات القرآنية، الأسئلة التي يطرحها التحول إلى عصر المعرفة الرقمي:

- فكيف ستفهم أجيال عصر المعرفة الطي الرقمي للكتب؟ والكتاب المسطور في رَقٍّ منشور؟! والخط باليمين؟ والسطر بالقلم وبالمداد؟ بعد أن أصبح القلم أزراراً تكتب بأحرف من نور، وأصبح الرَّق المنشور شاشة افتراضية تبرز لقارئها من جواله المحمول في الهواء الطلق؟!
- وكيف ستكون تلاوتهم للقرآن وتدبرهم له، وقد أمدهم جهازهم الصغير بكل ما يطمحون إليه من الوسائط من صوت ولون وصورة، وقدرة فائقة على الحركة والتقدم أو الاسترجاع، والتفرع؛ تفسيراً وكلمات ونظائر ومعاني؟!
- هل ستكون قراءتهم أوعى؟ وهل سيكونون الأقدر على الاستيعاب والتطبيق والدعوة والتبليغ؟!

---

[1] العادة الثامنة؛ ستيفن كوفي، دار الفكر، ص39.

[2] العادة الثامنة، ستيفن كوفي، دار الفكر، ص43.

- هل ستنحو الدراسات القرآنية منحى الدراسات الفقهية؛ فتحتفظ بمصطلحات القرون الأولى؛ كالقلة والصاع والذراع الهاشمي في المقاييس، واستعمال الحجر والخرقة والتراب في التطهير، واشتراط الحرية (بمعنى عدم الرق) في الحاكم؟!
- كيف ستتعامل الدراسات القرآنية المستقبلية، مع النصوص القرآنية التي انقضت الحاجة إليها لزوال مقتضاها؛ كالرق الذي جفف القرآن ينابيعه؛ فلم ترد فيه آية واحدة عن الاسترقاق من جديد، بينما فتح الأبواب مشرعة على مصراعيها لتحريره؟!

5. خدمات النشر المرجوَّة في المرحلة المقبلة

1- الخروج بإصدارات دور النشر وأبحاثها من حالة التقليد والتكرار والاجترار التي تعيشها، إلى حالة استثمار أدوات عصر المعرفة؛ الإنتاجية والتسويقية، وتوظيفها في خدمة القرآن الكريم.

2- ابتكار أساليب جديدة في قراءة القرآن الكريم، تعين المسلم على التحول بها من نمط القراءة اللفظية- التي تهتم بالتهام أكبر عدد من الصفحات المقروءة، لتسجيل أكبر عدد من الحسنات مقابل كل حرف فيها- إلى قراءة التدبر التي ندبنا القرآن الكريم إليها، وحذرنا من إقفال قلوبنا دونها: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا *} [محمد24/47]. وعدَّ ذلك علامةً على الإيمان: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [البقرة 121/2]. وهي التلاوة التي كانت للجيل الأول، كما يحدثنا ابن مسعود: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات؛ لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن» [مسند أحمد 23482].

ولم يخل الجيل الأول من قراءةٍ صماء يحدثنا عنها ابن عمر «لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن؛ فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، لا يدري ما آمِرُه ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده؛ ينثره نثر الدَّقَل»[1] [المستدرك على الصحيحين 35/1].

وأدوات العصر، واللحظة الحضارية الراهنة للأمة؛ كفيلتان بإنجاز هذا التحول.

وربما كانت معاجم المعاني التي تصنف الآيات بحسب معانيها؛ من أهم الدراسات التي ينبغي الالتفات إليها وتطويرها[2].

3- ابتكار أساليب جديدة في تحفيظ القرآن للناشئة؛ ترتب محفوظاتهم، بحسب طاقتهم على استيعاب معانيها، وليس على الترتيب المقلوب لأجزاء المصحف بدءاً بجزئه الثلاثين. فالطفل أقدر على

[1] الدّقل: أردأ التمر.

[2] رَ: المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، بسام رشدي الزين ومحمد عدنان سالم؛ دار الفكر دمشق- ط 2010/3

استيعاب القصص القرآني الغزير والسهل والمحمَّل بالمعاني الكبيرة، من استيعابه لمعاني بعض السور القصار. وربما دخل بعض الناس في قبره قبل أن يتعرف معنى {غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} [الفلق 3/113].

4- فتح باب الاجتهاد في التفسير المتجدد لكتاب الله تعالى، وعدم الوقوف عند التفاسير القديمة بذريعة قربها من عصر التنزيل، فكتاب الله تعالى «لا تنقضي عجائبه» كما وصفه رسول الله (ص) [أخرجه الحاكم 555/1 من حديث عبد الله بن مسعود]، وهو متجدد «ولود» كما وصفه محمد إقبال؛ يعطي كل جيل من الأجيال بحسب طاقته واحتياجاته المعرفية.

- **الباب الأول: خدمة النص القرآني**

الفصل الأول: الرسم القرآني

مما لا شك فيه أن الرسم العثماني للمصاحف التي بين أيدينا اليوم يختلف عن الرسم العثماني لمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكلاهما مختلف عن الرسم الإملائي المتداول بأشكاله المختلفة المتطورة جيلاً بعد جيل..

والسؤال الملح المطروح الآن هو: هل رسم المصحف توقيفي؟ أم هو اجتهادي قابل للتطور؛ يمكن أن يواكب التغييرات والتحسينات المتتابعة التي ما زالت تطرأ على الرسم والخط على مر الزمن؟!

وإذا كان الرسم توقيفياً؛ فمن ذا الذي أوقفه؟ ومتى وعند أي كَتبة توقف؟ وهل يتوجب على الأجيال المتعاقبة دائماً أن تتعلم رسمين: أحَدهما للمصحف الذي تقرأ به القرآن، والآخرَ لسائر المعارف والعلوم التي تتلقاها؟!

وهل ثمة علاقة بين الرسم التوقيفي للقرآن، وما يحفِل به من زيادة وحذف وإبدال،وبين معاني الألفاظ ودلالاتها في سياق آياتها؛ بحيث يؤدي الرسم معنى إضافياً زائداً على المعنى المعجمي للفظ؟!

وهل ينسحب إعجاز القرآن في لفظه على إعجاز في رسمه،كما تخيله ابن البناء المراكشي (654-721هـ) في كتابه الموسوم: (الدليل من مرسوم خط التنزيل)؟!

وهل التقدم العلمي، والأدوات التي وضعها عصر المعرفة اليوم في أيدي الباحثين؛ سوف تطوي صفحة الجمود الفكري الذي اكتنف الدراسات القرآنية دهراً،وتلهم الباحثين أوجهاً للإعجاز القرآني، لم يكن اكتشافها متاحاً للسابقين؟!

أسئلة يجدر بالناشرين إثارتها، وعصف الأفكار، واستدراج الكتابات حولها؟!

وقبل الخوض في الإجابة على هذه التساؤلات، أود أن أستعرض بعض تجارب شخصية حولها:

في عام 1959م، تعاقدت دار الفكر التي أشرف بإدارتها مع السيد عبد الحميد الخطيب؛ سفير المملكة العربية السعودية في سورية، على طبع تفسيرٍ له في ثلاثين جزءاً، حرص على إيراد الآيات المفسرة

فيه في زاوية كل صفحة، يحيط بها التفسير فيما تبقى من الصفحة، وأصر على رقن الآيات بالحرف المطبعي العادي، وبالرسم الإملائي المعتاد.. فاستهجنتُ ذلك للوهلة الأولى، ورحت إلى أستاذي الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، شيخ قراء دمشق يومها، أسأله عن جواز ذلك. فكان جوابه رحمه الله: «القرآن الكريم نزل وحياً يحفظ في صدور الرجال، بالتلقي جيلاً بعد جيل، ولك أن تكتبه بالإملاء الذي تريد مع العناية الواجبة لكتاب الله تعالى». وطُبع التفسير يومها بقواعد الإملاء الشامي، ووُزِّع من دون أن يثير حفيظة أحد أو استغرابه.

وذات يوم في مطلع القرن، سألني صبي في الثانية عشر من عمره: لماذا لا تضعون لنا النقطة والفاصلة في المصحف؛ يقصد علامات الترقيم الدارجة، فقلت له إن للمصحف علامات خاصة للوقف مفصلةً في آخره، فقال الصبي بنـــزق: لا أفهمها.

ويبدو أن العز بن عبد السلام (ت 660هـ) قد تنبه لحاجة الصبيان إلى رسم إملائي للمصحف فأباحه لهم لأغراض التعليم؟!

الكتبة الأولى:

أول من جمع القرآن بين لوحين أبو بكر رحمه الله، وعهد بذلك إلى زيد بن ثابت.

قال زيد فجعلت أتتبع القرآن من صدور الرجال، ومن الرقاع، ومن الأضلاع، ومن العسب، ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله (ص) لم أجدها عند أحد،فوجدتها عند رجل من الأنصار {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ} [الأحزاب 23/33]. فألحقتها بسورتها، فكانت تلك الصحف عند أبي بكر حتى مات،ثم كانت عند عمر حتى مات، ثم كانت عند حفصة.

قال حذيفة لعثمان: «سمعت الناس اختلفوا في القرآن، فأرسل عثمان إلى حفصة: أرسلي إلينا بالصحف ننسخْها ثم نردها إليك.. فعهد إلى زيد ومعه أربعة من الصحابة بنسخ الصحف على لسان قريش، فنسخوها ورد عثمان الصحف إلى حفصة»[1].

وأكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ وبعث إلى كل ناحية بواحدة منهن، فوجه نسخة لكل من الكوفة والبصرة والشام، وأمسك عنده بواحدة.

«سئل مالك رحمه الله: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء، فقال: لا إلا على الكتبة الأولى.. ولا مخالف له من علماء الأمة»[2].

غير أن هذه الكَتبة الأولى لم تلبث – عند نسخها في الأمصار– أن تنوعت؛ من حيث نوع الخط وتطوره؛ الذي احتفظت لنا المتاحف بالكثير منه بين مجرد عن النقط ومنقوط؛ كلاهما تعسر قراءته، ومن

[1] المقنع في معرفة مرسوم أهل الأمصار: أبو عمرو الداني، دار الفكر بدمشق ط 1983 (ص 2-4)

[2] المقنع ص 9، البرهان في علوم القرآن للزركشي 459/1- دار الفكر بيروت ط 2005.

حيث الزيادة والحذف في الرسم، فيعقد أبو عمرو الداني لذلك في المقنع بابين؛ أحدَهما لما اتفقت على رسمه مصاحف أهل الأمصار من أول القرآن إلى آخره[1].

وباباً آخر لما اختلفت فيه مصاحف أهل الأمصار بالإثبات والحذف[2].

نقط المصحف وشكله:

ظلت المصاحف زمن الصحابة والتابعين خالية من النقط والشكل، إلى أن أحدث الناس ما أوجبه؛ عندما سمع أبو الأسود الدؤلي (ت 69هـ) رجلاً يقرأ {أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} [التوبة 3/9] بكسر لام الرسول، فاستعظم ذلك وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم اختار رجلاً من عبد القيس، فأملى عليه شكل حروف المصحف حتى أتى على آخره[3].

ثم جعل الخليل بن أحمد (ت170هـ) الهمز والتشديد والروم والإشمام،واقتفى الناس أثرهما، وانتشر ذلك في البلدان؛ أخذه أهل المدينة من أهل البصرة،وعنهم أخذ عامة أهل المغرب والأندلس،وانتشر في سائر المصاحف العراقية والشامية[4].

وبين أبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ) والرماني (ت 384هـ) ثمة خمسة عشر إماماً، كتبوا في نقط المصحف، لم يصلنا من أسفارهم شيء، ليظل أبو عمرو الداني (المتوفى 444هـ)[5] في المقنع والمحكم مرجعَنا في نقط المصحف بالإعجام وشكله بالحركات،تلك الفترة.

وعلى الرغم من كراهية الصحابة أن يُخلط القرآن بشيء، فقد روي عن مالك قوله: لا يزال الناس يسألوني عن نقط القرآن؛ فأقول: أما الإمام من المصاحف فلا أرى أن ينقط، ولا أن يزاد في المصاحف ما لم يكن فيها.. وأما المصاحف التي يتعلم فيها الصبيان فلا أرى بذلك بأساً[6].

لكن للزركشي رأياً آخر يقول فيه:

«وقال الإمام أحمد رحمه الله: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك.. قلت: وكان هذا في الصدر الأول، والعلم حي غض.وأما الآن فقد يخشى الإلباس. ولهذا قال

---

[1] المقنع ص 83-92

[2] المقنع ص 92-99

[3] المحكم في نقط المصاحف: أبو عمرو الداني، دار الفكر بدمشق، ط 1997/2 ص 4.

[4] المحكم ص 8

[5] أبو عمرو الداني: عالم أندلسي برع في علوم القرآن، ولد في قرطبة عام 371 وتوفي بدانية عام 444هـ. وله: المقنع والمحكم في نقط المصاحف.

[6] المحكم ص 11

الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى، باصطلاح الأئمة؛ لئلا يوقع في تغيير من الجهال»[1].

وإذ رخَّص أبو عمرو الداني نقط المصحف (وهو الإعجام)، فقد نهى عن نقطه بالسواد من الحبر و لم يستجزه، واستحب بدلاً منه استعمال صبغ يخالف المداد، فلا يحدث في المرسوم تغييراً ولا تخليطاً،وقد استعمل نقّاط أهل المدينة الحمرة للحركات والسكون والتشديد والتخفيف، واستعلموا الصفرة للهمزات خاصة.

أما الشكل بالحركات، فقد رأى أبو عمرو قصره على ما أشكل وليس على كل حرف، فإنما يقع الشكل على ما إذا لم يُشكل التبس. ولو شُكل الكتاب كله لأظلم[2].

ونقل أبو عمرو عن الأوزاعي القول: «كان القرآن مجرداً في المصاحف. فأول ما أحدثوا فيها النقط على التاء والياء، وقالوا: لا بأس به، هو نور له. ثم أحدثوا فيها نقطاً عند منتهى الآي. ثم أحدثوا الفواتح والخواتم»[3].

ويمضي أبو عمرو في محكمه، في تبيان طريقته في التعبير بالنقط والألوان عن إعجام الحروف ونقطها بالسواد، وعن الحركات بكل ما فيها من إشباع واختلاس، وتسكين، وتشديد، ومد، وتنوين، وإدغام، وعن الهمزات؛ بكل ما فيها من قطع، ووصل، وتطرف، وتوسط.

الزيادة والحذف

وفي المقنع، يفصل لنا أبو عمرو مواضع الحذف في رسم المصحف، بادئاً بالألف التي هي أكثر الحروف حذفاً، ثم الياء والواو. ومواضعَ الزيادة، للألف والواو والياء، ورسمَ الهمزة، وهاءات التأنيث، وما يرسم منها بالتاء المبسوطة. وغير ذلك من اختلافٍ في الرسم القرآني عن الرسم الإملائي.

ثم يعقد فصلاً مطولاً لما اتفقت مصاحف أهل الأمصار على رسمه؛ بادئاً بحذف الألف من {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ *} و{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ *} في فاتحة الكتاب.. وفصلاً آخر مطولاً لما اختلفت فيه مصاحف أهل الأمصار بالإثبات والحذف؛ بادئاً بحذف ياء إبراهيم حيثما وردت في البقرة، وإثباتها في سائر السور بعدها.

ومتتبعاً جميع ما اختلَف في رسمه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل المدينة وأهل الشام، و لم يكن عدده باليسير. ويعقد بعد ذلك فصلاً يسوِّغ لنا فيه هذا الاختلاف، مؤكداً أن عثمان رضي الله عنه لما

[1] البرهان في علوم القرآن للزركشي- دار الفكر بيروت ط2005 ج1، ص460.

[2] المحكم ص23

[3] المحكم ص17

جمع القرآن في المصاحف، ثبت عنده «أن هذه الحروف من عند الله عز وجل، كذلك منــزلة، ومن رسول الله (ص) مسموعة، وعُلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن إلا بإعادة الكلمة مرتين، وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم مالا خفاء به. ففرقها في المصاحف لذلك. فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها؛ لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عز وجل، وعلى ما سُمعت من رسول الله (ص). فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار»[1].

وبذلك يطوي لنا أبو عمرو صفحة توقيف رسم المصحف؛ عند ما ابتكره من نقط لتمييز الحروف وشكلها بالحركات، وعلى ما فيه من اختلاف في الرسم،ليكون أمراً مسلماً به، ولتبدأ بعده صفحات جديدة تستكشف الأسرار الكامنة وراء هذا الرسم التوقيفي.

الأسرار الكامنة وراء الرسم العثماني

ظلت الدراسات التي يقدمها العلماء لظواهر الرسم القرآني- لغوية كانت أم فنية – تتعلق بالتأريخ للمراحل التي مر بها الرسم، ومواقفِ الصحابة والتابعين من التحسينات التي طرأت عليه من حيث الإعجامُ بالنقط والشكلُ بالحركات، إلى أن وضع أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي العدوي الشهير بابن البناء المراكشي (654-721هـــ) كتابه في الكشف عن الأسرار التي تضمنها الرسم العثماني، والذي سماه: (الدليل من مرسوم خط التنــزيل)[2]، فردَّ فيه اختلاف رسم الكلمات لأحد سببين: إما لاختلاف معنى الكلمة في الآية التي ترد فيها، أو لمعانٍ تتعلق بمراتب الوجود والمقامات «وذلك لحكم خفية وأسرار بهية، والخط إنما يرتسم على الأمر الحقيقي لا الوهمي»[3].

وجعل المراكشي تعلق المعاني بتلك الأصوات على حسب موقعها في جهاز النطق؛ فالهمزة عنده تدل على الأصالة لأنها من أصل الصوت. والألف تدل على الكون بالفعل وبالفصل. والواو تدل على الظهور والارتقاء. والياء تدل على البطون، فهي مخصصة؛ لأنها من رقة الصوت وانخفاضه في باطن الفم.

وراح العلماء الذين تابعوا المراكشي في مذهبه، كالزركشي (ت 794هـــ) يتفننون في تعليل ظواهر الرسم سواءً في باب الحذف أم الزيادة أم البدل أم الفصل والوصل، حتى طغت على أحاديثهم وتواليفهم، واستمروا يرددونها، ويبنون عليها حتى وقتنا الحاضر..

فإذا زيدت الألف في أول كلمة، مثل {لَأَاذْبَحَنَّهُ} [النمل21/27] فإنما ذلك تنبيه على أن المؤخر أشد وأثقل في الوجود من المتقدم عليه لفظاً؛ فالذبح أشد من العذاب[4].

---

[1] المقنع: أبو عمرو الداني، دار الفكر- دمشق ط 1983- ص 115

[2] مخطوط، ذكر الزركلي في الأعلام أنه اطلع عليه. كما ذكره الزركشي (ت 794هـــ)، والسيوطي (ت911هـــ)

[3] البرهان في علوم القرآن: للإمام الزركشي، دار الفكر بيروت ط 2005 ، 461/1.

[4] البرهان 1 /381

وقد تسقط (الألف) في مواضع للتنبيه على اضمحلال الفعل نحو {سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} [سبأ 5/34] فإنه سعي في الباطل لا يصح له ثبوت في الوجود[1].

وزيـــدت الألـــف بعد الهمزة في حرفين: {إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ} [المائدة 29/5] {مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ} [القصص76/28] تنبيهاً على تفصيل المعنى، فإنه يبوء بإثمين من فعـــل واحد، وتنوء المفاتح بالعصبة، فهو نوءان للمفاتح، لأنها بثقلها مالت وأمالتهم..[2].

وكذلك {إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} [هود97/11] زيدت الألف، تنبيهاً على تفصيل مهم ظاهر الوجود. ومثله زيادتها في {مِئَةَ} لأنه اسم يشـــتمل على كثرة مفصلة بمرتبتين آحاد وعشرات[3].

وأما الواو فقد زيدت للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود في أعظم رتبة في العيان مثل {سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} [الأعراف 145/7] فالآية جاءت للتهديد والوعيد[4].

وأما الياء فزيدت لاختصاص ملكوتي باطن،وذلك في تسعة مواضع،كما قاله في المقنع؛ إحداها: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ *} [الذاريات47/51] قال أبو العباس المراكشي (ابن البناء): إنما كتبت بياءين فرقاً بين (الأيد) الذي هو القوة، وبين الأيدي جمع يد، ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في إدراك الملكوتي في الوجود[5].

وأما ما نقص من اللفظ

«فكل ألف تكون في كلمة لمعنى له تفصيل في الوجود: تحذف إن كان للكلمة اعتبار من جهة ملكوتية، أو صفات حالية، أو أمور علوية مما لا يدركه الحس،وتثبت إن كان للكلمة اعتبار من جهة ملكية حقيقية في العلم، أو أمور سفلية.

واعتبر ذلك في لفظتي (القرآن) و(الكتاب). فإن القرآن هو تفصيل الآيات التي أحكمت في الكتاب. والقرآن أدنى إلينا في الفهم من الكتاب وأظهر في التنـــزيل.

قال تعالى: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *} [فصلت3/41] ولذلك ثبت في الخط ألف (القرآن) وحذفت ألف (الكتاب).

---

1 البرهان 463/1

2 البرهان 464/1

3 البرهان 465/1

4 البرهان 466/1

5 البرهان 467/1

وكل ما في القرآن من (كتاب) فبغير ألف إلا في أربعة مواضع {لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} [الرعد38/13] و{وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ *} [الحجر 4/15] و{وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ} [الكهف27/18] و{تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ} [النمل 1/27] فالكتاب فيها جميعاً أخص من الكتاب المطلق، أو المضاف إلى الله»[1]

لقد كان أبو العباس ابن البناء المراكشي ذا ميل شديد إلى العلوم الرياضية والعقلية؛ وأكثر مؤلفاته فيها. وكان ذا اتجاه صوفي وجداني، ينـــزع إلى الاستبطان والتأمل الذاتي، ومن خلال ثقافته تلك وصل إلى ذلك التفسير الباطني لظواهر الرسم.

***

وعلى الرغم من الصورة المنطقية التي يعرض فيها ابن البناء مذهبه، والتي استهوت الكثيرين من بعده، وأسرتهم فوجهوا بحوثهم إليها، وجمدت اجتهادهم حولها.. فإن من الواضح أن هذه الصورة بعيدة كل البعد عن طبيعة الموضوع، فلم يدر في خلد الصحابة- رضوان الله عليهم- شيء من تلك المعاني التي حاول أبو العباس أن يعلل بها رسم الكلمات في المصحف، بصورتها الفلسفية الباطنية الغامضة، ولم يكن الهدف الأول لتسجيل النص القرآني سوى تمثيل ألفاظ التلاوة التي من خلالها- لا من خلال الرسم- تتجلى معاني القرآن العظيم.

وقد مرت قرون طويلة على كتابة القرآن دون أن ينقل أحد شيئاً من تلك المعاني. حتى جاء المراكشي ليكشف عنها بتأمل ذاتي باطني غامض متكلف، بعيد كل البعد عن طبيعة الكتابة التي هي وسيلة لتخليد الألفاظ الدالة على المعاني، دون أن يكون للكتابة- أصلاً- أي دور في تحديد المعنى أو الإيحاء بمعانٍ دقيقة عن طريق التصرف في هجاء الكلمات وتحويره.

هكذا يتضح لنا أن الأساس الذي قام عليه منهج أبي العباس المراكشي في دراسة ظواهر الرسم، وتابعه الناس عليه حتى يومنا هذا، أساس مردود، إلى جانب أن التعليلات التي أوردها لاختلاف صور هجاء بعض الكلمات، توقع أحياناً في تناقض حاد، فإذا سلمنا- مثلاً- بأن علة حذف الواو في {وَيَمْحُو اللَّهُ الْبَاطِلَ} [الشورى 24/42] سرعة وقوع الفعل، فهل يدل إثباتها في {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ} [الرعد 39/13] على التراخي في المحو والإثبات.

وإذا انتقض الأساس انتقض سائر ما بني عليه. وإن نتيجة واحدة يقود إليها الدليل العلمي الواضح، خير وأجدى في فهم المشكلة من كل ما قاله المراكشي، وردده وراءه أجيال من العلماء.

[1] البرهان 469/1

وإن الرسم الحالي للقرآن، لا يعدو أن يكون مرحلة من مراحل الرسم التي نقلتها لنا المخطوطات منذ الكتبة الأولى التي طورتها الأجيال وأضافت إليها تحسينات كثيرة، فهل يجب الوقوف عندها؟! أم يجوز تمحيصها والإضافة إليها استثماراً لإمكانات العصر الراهن.

زبدة القول في الرسم القرآني

«لم يكن رسم المصحف يختلف في شيء عما كان يستعمله الناس في غير المصحف من الخط.. وهناك جملة نصوص ترجع إلى القرنين الأول والثاني الهجريين تدل على ذلك»[1].

«وقد صار مصطلح الرسم في مجال الدراسات القرآنية يدل على الجانب الذي يهتم بكيفية كتابة الكلمات في المصحف، من حيث عدد الحروف ونوعها، لا من حيث أشكال الحروف وصورها»[2]

«وغايته تصوير الأصوات العربية بحروف مرسومة، وتخصيص كل صوت برمز كتابي يدل عليه»[3].

و«إننا لا نكاد نتصور اللغة دون صورتها الكتابية، لما للكتابة من أهمية فائقة في الحياة البشرية»[4].

«لقد واجهت الكتابة العربية – حين استخدمت لتدوين القرآن الكريم – أول فرص الاستخدام الواسع في عمل ضخم يستغرق مئات الصفحات، بعد أن كانت حبيسة استعمالات محدودة؛ لا تتيح توحيد القواعد ليلتزمها الكتاب فيما يكتبون»[5].

«وكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان»[6] – كما رأى ابن خلدون (ت 808هـ) – فلما كتب الصحابة المصحف بخطوطهم، «خالف الكثيرُ من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها. ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب رسول الله (ص)، وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه،كما يُقتفى خط وليٍّ أو عالم تبركاً.. فاتُّبع ذلك وأثبت رسماً، ونبه العلماء بالرسم على مواضعه».

ولا يُلتفت إلى ما يزعمه البعض من أن مخالفة خطوطهم لأصول الرسم لها وجه «ويقولون في مثل زيادة الألف في {لَأَاذْبَحَنَّهُ} إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع،وفي زيادة الياء في (بأييد) إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض. وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم،

1 رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية: غانم قدوري الحمد، ص 155.

2 [المصدر نفسه ص 156] رسم المصحف.

3 [المصدر ص 157] رسم المصحف

4 [المصدر 160] رسم المصحف

5 [المصدر 161] رسم المصحف

6 مقدمة ابن خلدون، نهضة مصر، 2 /882.

أن في ذلك تنـــزيهاً للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط.. إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية.. والكمال في الصنائع إضافي وليس بكمال مطلق»[1].

ولقد ارتقت الإجادة في الخط، مع ارتقاء الدولة الإسلامية وازدياد الفتوحات، فبلغت في الكوفة والبصرة درجة من الإتقان، والخط الكوفي منسوب إليها. ولما اختط بنو العباس بغداد ترقت الخطوط فيها، وخالفت أوضاع الخط الكوفي، في الميل إلى إجادة الرسم وجمال الرونق.. «إلى أن رفع رايتها ببغداد ابن مقلة الوزير (ت 328هـ)، ثم تلاه في ذلك علي بن هلال الكاتب الشهير بابن البواب (ت 423هـ)، ووقف سند تعليمها في المئة الثالثة وما بعدها، وبعدت رسوم الخط البغدادي وأوضاعه عن الكوفة، حتى انتهت إلى المباينة.. وطما بحر العمران والحضارة.. ونفقت أسواق العلوم وانتسخت الكتب، وأجيد كَتبها وتجليدها.. وتنافس أهل الأقطار في ذلك وتناغـــوا فيه»[2] فنالَ المصحفَ من هذه الإجادة، كلُّ ما تعلق بحسن الخط، ونقط الحرف، وشكله بالحركات، وعلامات الوقف، والفواصل بين الآيات والسور، وعدِّها، والتجزئة إلى أرباع وأخماس وأجزاء وأحزاب، والتلوينِ لأغراض شتى، والتذهيبِ والزخرفة بأجمل الزخارف.

لقد تقبل علماء الأمة وعامتها ذلك كلَّه بوصفه من العناية التي تليق بكتاب الله تعالى. ما عدا ما يتعلق بالزوائد والنواقص والإبدالات؛ التي سبق الحديث عنها، فقد توقفوا عندها، وأضفوا عليها من القداسة ما فصل بين النص المكتوب،والنص المتداول المستخدم يومياً في حياة المسلمين؛ تلاوة، واستشهاداً في محادثة أو محاضرة أو خطبة أو رسالة أو كتاب.

فلا يمكن لخطيب يســـتشـــهد في خطبته بقوله تعالى {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ *} [الذاريات 47/51] أن يخطر له معنى للأيْد غير معنى القوة،ولا حاجة به إلى إضافة ياء أخرى إلى الأيد ليميز بينها وبين الأيدي جمع يد- كما يتكلف ابن البناء-.

هذا فضلاً عن اللبس الذي قد يوقعه به الرســـم العثماني، في مثل قوله تعالى {أَزِفَتِ الآزِفَةُ *} [النجم 57/53] و{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ *} [غافر 18/40]. فيقرؤها همزة بفتحة دون مدّ لغياب المدّ عنها.

فما مسوِّغ الإقبال على تحسين كتابة المصحف من كل الوجوه، والضنِّ عليه بتخليصه من هذه الإشكالات في الرسم؟! وقد نزل القرآن ليرافق البشرية حتى نهاية وجودها على الأرض، فلماذا الوقوف بكتابته عند جيل مضى بإمكاناته الكتابية المحدودة التي تجاوزها الزمن؟!

[1] المصدر السابق ص 883

[2] المصدر السابق ص 884

تلك مسألة جوهرية يجدر بالناشرين أن يولوها اهتمامهم، للإسهام في خدمة كتاب الله تعالى، ومواكبته لاحتياجات العصر ومستجداته.

ولسوف ينجم عن مسألة الرسم الإملائي إشكالات جديدة، فأي إملاءٍ سيعتمد؟! الإملاء الشامي أم المصري؟ وكلاهما زاحف متغير خاضع للاجتهاد والتطوير،ولا بد أن تكون هذه الإشكالات موضوع أبحاث يثيرها الناشر، ويستكتب لها الخبراء والمتخصصين من المؤلفين.

الفصل الثاني: القراءات المتواترة

على الرغم من تأكيد علماء القراءات أن «القراءات القرآنية (المتواترة) جميعاً؛ قرأ بها النبي (صلى الله عليه وسلم) أصولاً وفرشاً، وقد تلقاها عنه أصحابه من بعده، وأقرؤوا بها الناس. وأنها بذلك أصبحت توقيفية لا مجال فيها لأدنى اجتهاد»[1]. فإن أحداً من هؤلاء العلماء لم يقل بأننا متعبدون بقراءتها جميعاً.

«ولم يترسخ علم القراءات، ولم يبدأ التأليف العلمي به قبل القرن الرابع الهجري، حين ألف الإمام المقرئ ابن مجاهد (ت 324هـــ) كتابه (السبعة في القراءات)»[2] وكان علينا أن ننتظر خمسة قرون بعده حتى يجيء ابن الجزري (ت833هـــ) ليرفع القراءات المتواترة إلى عشر في كتابه الشهير (النشر في القراءات العشر)[3]، ثم انعقد الإجماع بعد ذلك على عدِّ ماعدا هذه القراءات شاذاً لا يعتد به.

«من المتفق عليه لدى الأمة بمجموعها أن القرآن؛ إنما يؤخذ بالتلقي والمشافهة، وأن الوثيقة المكتوبة ليست مرجعاً نهائياً لرواية القرآن، بل هي محض آلة مساعدة، وأن العمدة في القراءة والإقراء على التلقي بالتواتر»[4].

لكن هذا الإجماع لم يضعف من أهمية كتابة المصحف، التي بدأت بكتابة الصحف في عصر الرسول (ص) وبأمر منه، ثم بجمعه في مصحف واحد في عهد أبي بكر، ثم بتوحيد كَتبته، وبثه في الأمصار في عهد عثمان.

وإذ كانت كتبة مصحف عثمان غير منقوطة، فقد تركت الباب مفتوحاً لتعدد القراءات في الرسم الواحد، في مثل {وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران 83/3] فيقرؤها ابن كثير (يُرجَعون)، ورويس (يُرجِعون)، وروْح (تَرجِعون)، والباقون (تُرجَعون)[5].

---

[1]القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني..، محمد الحبش، دار الفكر دمشق 1999، ص26.

[2] القراءات المتواترة ص 70

[3] القراءات المتواترة ص 76

[4] القراءات المتواترة ص 94

[5] القراءات المتواترة ص 92

لقد بلغت أوجه الخلاف بين القراءات نحو ألفي كلمة، وكلها يحتمله رسم واحد إلا في تسعة وأربعين موضعاً، لا بد من تعدد الرسم فيها ليتم استيعابها.

لكن التحسينات التي أدخلت على رسم المصحف، وتلقاها المسلمون بالقبول، وشيوعَ المصحف الموافق لرواية حفص عن عاصم في أغلب بلدان العالم الإسلامي اليوم؛ قلصا هذه الاختلافات على نحو كبير:

1- فتحسينات التشكيل: ذهبت بكثير من القراءات المتواترة من النص القرآني:ومثالها في سورة البروج: {ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ *} [البروج 15/85] بضم دال (المجيدُ)، وهي قراءة جمهور القراء، غابت بها قراءات متواترة بالخفض، لكل من حمزة، والكسائي، وخلف.

2- وتحسينات التنقيط؛ ذهبت بجملة أخرى من القراءات المتواترة، ومثالها في سورة الرعد{أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ} [الرعد 16/13]. بتاء المضارعة، وهي قراءة الجمهور، فغابت قراءة حمزة والكسائي وخلف بياء المضارعة (يستوي).

3- وتحسينات ضبط الفرش، التي تمثلت في إثبات الألف الخنجرية، وإثبات الحروف المتروكة، وإثبات الهمزات.. غيبت الكثير الكثير من وجوه الاختلاف:

أ- مثال الألف الخنجرية: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ} [البقرة9/2]، غابت بها قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو يَخْدَعُونَ .

ب- ومثال الأحرف المتروكة: التي أضيفت مصغرة فوقها لإشعار القارئ بوجوب التلفظ بها: - الواو: في مثل قوله تعالى: {دَاوُودُ} [البقرة 251/2]. - الياء: في مثل قوله تعالى: {فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ} [النمل 36/27]. - النون: في مثل قوله تعالى {وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} [الأنبياء 88/21].

ج- ومثال الهمزات: {رِدْءًا يُصَدِّقُنِي} [القصص34/28]، غابت بإثبات الهمزة قراءة نافع (رداً يصدقني).

4- وتحسينات ضبط الأداء: إثبات علامات المد فوق الأحرف الواجب مدها؛ ألفاً أو واواً أو ياء، أو صلة، وإثبات علامات التجويد من إدغام وإخفاء وإظهار.. قد أسهمت بلا ريب في تحسين أداء العامة لأحكام التجويـــد، لكنها في الـــوقت نفسه غيبت وجوهاً متواترة في الأداء[1].

وهكذا انتهى الأمر بالعالم الإسلامي؛ إلى أن المصاحف المطبوعة المتداولة اليوم، تكاد تنحصر في أربعة؛ هي مصاحف: حفص، وقالون، وورش، والدوري، وكلها منقوط ومشكول بما يوافق رواية كل منهم. والمصحف المطبوع برواية حفص عن عاصم؛ هو الأكثر تداولاً؛ حتى في البلدان التي ما زالت تتبنى

[1] رَ: القراءات المتواترة (باب أثر الرسم العثماني في ضبط القراءات) ص92-117

قراءات أخرى.. وحسبنا أن نسخ القرآن العظيم التي تطبع في العالم الإسلامي اليوم، ويتجاوز عددها آلاف الملايين؛ لا يختلف بعضها عن بعض في كلمة أو حرف أو نقطة أو شكل»[1].

كأني بعامة المسلمين؛ يوجهون عملياً حركة النـــزوعِ إلى توحيد القراءات في قراءة واحدة؛ وترك مسألة القراءات؛ متواترة أو غير متواترة، إلى أهل الاختصاص.. خاصة وأن اللهجاتِ التي تقرأ بها لم تعد مستخدمةً في الأجيال اللاحقة.

والناشرون معنيون بتلبية توجُّهات جمهور المسلمين، وتأصيل هذه التوجهات وترسيخها، والالتفات إلى «فهم المعاني واستخراج الحكم، واستخلاص الحلول للمشكلات المستجدة»[2].

الفصل الثالث: حق التلاوة

يروي الإمام النووي (ت 676هـــ)، عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله (ص) قال: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» [رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح][3].

ثم يتحدث عن عادات السلف في ختم القرآن؛ بدءاً بمن كان يختِمه كل شهرين مرة، وانتهاءً بمن كان يختِم بالنهار أربع ختَمات وبالليل أربع ختمات كل يوم.

وعلى الرغم مما يعدده الإمام النووي من آداب تلاوة القرآن، وأهمية تدبره وترتيله، فإن القراءة الشائعة للقرآن عند المسلمين اليوم وعلى مر العصور؛ إنما هي قراءة الشكل والكم، بقصد تسجيل أكبر عدد من الحسنات، مقابل عدد الأحرف التي يقرؤونها، فإذا قرؤوا كان همَّهم آخرُ الصفحة وآخر الجزء، من دون أي وعي أو إدراك لما يقرؤون. و«رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه»؛ يقرأ: {أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود18/11] وهو ظالم لنفسه.

وما يعنيني في هذه الورقة، حث الناشرين،وخاصةً ناشري القرآن الكريم وعلومه، على تلمس الطرق الناجعة للتحول بالمسلمين من قراءة الكم إلى قراءة الكيف، ومن قراءة الشكل إلى قراءة المضمون. {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ *} [الحديد 16/57] ولقد نزلت هذه

[1] القراءات المتواترة ص 25

[2] القراءات المتواترة ص 58

[3] البيان في آداب حملة القرآن: الإمام يحيى بن شرف النووي، دار السلام، القاهرة ط 2008/5.

الآية، والمسلمون ما يزالون حديثي عهد بالقرآن؛ يتلقونه وحياً منجماً مواكباً للأحداث الجارية لهم، تحذيراً لهم أن يحذوا به حذو الذين أوتوا الكتاب من قبلهم.

ولعل في حديث زياد بن لبيد ما يصوِّر لنا دهشة المسلمين من هذا التحذير المبكر:

قال زياد: ذكر النبي (ص) شيئاً فقال: «وذلك عند أوان ذهاب العلم»، قلنا يا رسول الله: وكيف يذهب العلم، ونحن نقرأ القرآن،ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟! قال: «ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد، إن كنتُ لأراك من أفقه رجل بالمدينة. أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل؛ لا ينتفعون مما فيهما بشيء؟!»[1]، وفي هذا الحديث يتبين لنا الأفق الحضاري البعيد، ومرحلةُ التكلس التي سترتكس إليها الأمة خلال دورتها الحضارية،عندما تهتم بالشكل، وتسترخي عقولها عن وعي المضمون.

ونرى الصورة ذاتها في قصة محمد إقبال مع أبيه الذي كان كلما رآه يقرأ القرآن، يسأله ماذا تفعل؟ فيجيبه: أقرأ القرآن.. فلما استغرب إقبال تكرار السؤال ذاته من أبيه والجوابِ ذاته منه.

قال له: يا بني: إنما أردتُ أن أقول لك: «اقرأ القرآن كأنه ينـــزَّل عليك».

فإن نحن عدنا إلى القرآن ذاته، نستلهمه الطريقة التي يريدنا أن نقرأه بها، لم نجد فيه إلا الحث على التدبر والتفكر والعمـــل بما نقرأ: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [البقرة121/2]. ويوضح حق التلاوة متسائلاً مستنكراً: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا *} [محمد 24/47]. ومؤكداً أن التدبر هو هدف التنـــزيل {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} [ص 29/38].

لا شك في صعوبة تغيير عادة متجذرةٍ في الأمة قروناً طويلة، ومستندةٍ إلى تفسير قاصر للنصوص.. لكن وسائط عصر المعرفة، وتقنيات الاتصال التي تعددت بين يدي الإنسان وأتاحت له تقليب النص على سائر وجوهه، ثم العودةَ إلى السياق لمتابعته قبل أن يقوم من مقامه؛ كلاهما كفيل بتذليل كل الصعاب، إذا وجدت الإرادة، وصحَّ عزم الإنسان المسلم على أداء دوره الحضاري المنشود.

وذلك باب يجب أن يقتحمه الناشرون لتعزيز ثقافة الفعالية لدى المسلمين، فيما ينشرونه من مصاحف ومن دراسات قرآنية.

[1] مسند الإمام أحمد: دار الفكر بيروت ط2009/1- الحديث رقم 17480

الفصل الرابع: الحفظ في الصدور

صدور الرجال كانت الوعاء الأول لحفظ القرآن الكريم. وعلى الرغم من انتشار المصاحف المطبوعة وعاءً موثقاً خاضعاً للرقابة المشددة مخافة التحريف، فإن حفظه في الصدور كلِّه أو بعضه ما يزال مطلباً شرعياً؛ لتكتمل به أسانيد الرواة؛ وصولاً إلى رسول الله (ص) من جهة، ولتلبية احتياجات المسلم الحياتية من جهة أخرى؛ لأداء صلاته،وتقويم لغته، وترشيد سلوكه، وتصحيح معاملاته.. فالقرآن الكريم هو المرجع الأساسي والمحور الذي تدور عليه حياة الإنسان المسلم.

«يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منــــزلتك عند آخر آية تقرؤها» [رواه أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو][1].

ويروي الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) بعث بعثاً؛ فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجل منهم من أحدثهم سناً، فقال: «ما معك يا فلان؟» فقال: معي كذا وكذا وسورة البقرة. فقال: «أمعك سورة البقرة؟» قال: نعم.. قال: «اذهب فأنت أميرهم»[2].

ويأمرنا الرسول (ص): «تعاهدوا هذا القرآن! والذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من أحدكم، من الإبل من عَقْله»[3].

وأكثر ما يكون التفلت، بالانتقال من سورة لأخرى، عند آية مشابهة.

وتقوم اليوم في أنحاء العالم الإسلامي معاهد لتحفيظ القرآن، لا تألو جهداً في تعهد شباب المسلمين بالحفظ، مع التجويد وضبط مخارج الحروف، وشيء من التفسير؛ تمنح فيها الشهادات، وتعقد لها المسابقات، وتوزع الجوائز.

كما تقوم بعض دور النشر بإصدار مصاحف معِينة على الحفظ، باستخدام الألوان؛ لتمييز أوائل الآيات أحياناً وخواتيمها أحياناً، ولتمييز مقاطع الموضوع الواحد في الآيات المتعددة أحياناً أخرى. وبالتزام بدء الصفحة بمطلع آية جديدة.

وما يزال الباب مفتوحاً أمامهم لابتكار أساليب جديدة تعين على الحفظ والتدبر معاً، باستثمار أدوات العصر لهذا الغرض.

الفصل الخامس: منهج جديد لتعليم القرآن للأطفال

ما زال على أطفالنا أن يحفظوا الأجزاء الأخيرة من القرآن، كما كانوا يفعلون طوال القرون الأولى، بذريعة أن سورها من القصار، بغضِّ النظر عن صعوبة مفرداتها ومدى قدرتهم على فهم معانيها،

[1] سنن أبي داود. الحديث رقم 1464، دار الفكر بيروت- ط 2007

[2] سنن الترمذي. الحديث رقم 2885، دار الفكر بيروت- ط 2008

[3] مسند الإمام أحمد؛ عن أبي موسى. الحديث رقم 19563، ط1/دار الفكر بيروت 2009

بل إن حفظهم لها مرتبط غالباً بالألفاظ والمباني؛ يرددونها كالببغاوات، دون أي إدراكٍ لمعانيها.. وربما شاب أحدهم من دون أن يتعرف معنى: {غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} في سورة الفلق، أو معنى كلمة {وَأَبًّا} في سورة عمَّ. وهذا المنهج في تحفيظ النصوص معزولةً عن معانيها مخصص لتدريس القرآن الكريم في المدارس، يقابله الحرص على تفهيم المواد الدراسية الأخرى. الأمر الذي يرسخ هذا الانفصام بين الألفاظ والمعاني في ذاكرتهم، كلما كان الأمر متعلقاً بالقرآن الكريم.

وقد سبق لأحد كبار المربين أن حدثنا عن الصعوبة التي كان يلاقيها في استجلائه معاني سورة (يس)؛ إذ كانت الألفاظ تسابقه فلا تدع له مجالاً للتدبر، وذلك بسبب حفظه المبكر، وتلاوته المتكررة لها.. الأمر الذي دعاه للتفكير بمنهج آخر لتعليم القرآن للأطفال.

وقد أطلعنا يومها على تجربته مع طفلة في سن السابعة: قصَّ عليها قصة أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين.. قصها أولاً بأسلوبه الخاص وكلماته المبسطة، ثم طلب منها أن تحكيها لنا فحكتها، ثم أعاد قصّها عليها، مستبدلاً بكلماتها القرآنية كلماته المبسطة، واستعادها منها فأعادتها مع بعض التعثر، ثم قال لها: اسمعي القصة كما حكاها لنا القرآن الكريم، فاستمعت واستمتعت، وأعادت القصة القرآنية بيسر وثقة.

وفي رأي الدكتور أمين المصري صاحب التجربة أن تعليم القرآن للصغار ينبغي أن يتدرج بهم من القصص القصيرة والمتوسطة؛ كرحلة الشتاء والصيف لقريش،وقصة أصحاب الفيل، وقصة أصحاب الأخدود.. إلى القصص الطويلة، كقصص موسى وفرعون، وقصة يوسف وإخوته الغنية بالمعاني.

هذا للمستوى الأول، ثم تليه آيات الأخلاق والقيم للمستوى الثاني، ثم المفاهيم المجردة والأحكام للمستوى الثالث.

إن ولع الطفل بالقصة كبير لا حدود له، والقرآن الكريم على الرغم من كونه حافلاً بالقصص الواقعية المثيرة لخيال الطفل، فإن له هدفاً تربوياً لا يخفى؛ يُستخدم لتحقيقه التصوير الفني وأسلوب الحوار والإيحاء.

فإذا أحسنّا إيصال مشاهد القصص القرآني إلى نفوس الأطفال بلغة قريبة من مداركهم، ثم تلونا عليهم الآيات الواردة فيها، مع تفسير لبعض ألفاظها الغريبة، فإن ذلك سيرسخها في نفوسهم، مع كل مضامينها وأهدافها التربوية والأخلاقية.

وقد صرح القرآن بالهدف في بعض قصصه، وترك للقارئ أن يستخرجه في بعضها الآخر.

«وربما ترد القصة القرآنية الواحدة مكررة في مواضع شتى من القرآن الكريم، وهي في كل موضع من هذا التكرار تحقق غرضاً أو هدفاً غير الأهداف التي حققتها في المواضع الأخرى»[1]. ومن أمثلة هذا النوع قصص موسى عليه السلام التي يوردها القرآن على حلقات؛ في كل منها عدة مشاهد.

وقد تكون القصة طويلة كقصة يوسف عليه السلام، وقد استغرقت سورة بكاملها؛ عرضت لنا في حلقة أولى كيد إخوته الذين ألقوه في غيابة الجب، وفي حلقة ثانية: يوسف في بيت عزيز مصر، ومحنته مع امرأة العزيز، ثم مرحلة السجن حلقة ثالثة، ليخرج بعدها إلى سدة الرئاسة أميناً {عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ} [يوسف55/12]. في الحلقة الرابعة.

هكذا نجد في القرآن عشرات القصص التي تشكل نبعاً ثراً غنياً لتحفيظ الأطفال، مع تحقيق الأغراض التربوية الأخرى، من الاستمتاع، والفهم، والتدبر، والاعتبار.

ويبقى أن يقدم الناشرون من الزاد المعرفي، ما يحقق هذا المنعطف الكبير في تاريخ تعامل الأمة الإسلامية مع كتاب الله تعالى، وإعادته إلى نطاق الفعالية والتأثير.

الباب الثاني: خدمة علوم القرآن الكريم

الفصل الأول: معاجم المعاني

ما حظي كتاب في تاريخ البشرية بمثل ما حظي به القرآن العظيم،عناية ورعاية؛ من حيث جمعه وحفظه، وكتابة آياته، ورسم حروفه، وإعراب كلماته، وضبط قراءاته، وشرح مفرداته وتفسير آياته وسوره، ودراسة لغته، وتذوق بلاغته، وإظهار إعجازه، وبيان أحكامه، وفهرسة ألفاظه، واستخراج موضوعاته، والعناية بطبعه وزخرفته وجمال منظره، إلى غير ذلك من الخدمات التي يتقرب بها إلى الله عز وجل.

غير أن المكتبة القرآنية ما زالت مفتقرة إلى خدمة القرآن العظيم من ناحية استخراج المزيد من كنوزه، وتوليد معانيه، وفهرسة موضوعاته، إذ من المعلوم أن كل موضوع في القرآن يشكل وحدة متكاملة، متناثرة في آيات القرآن وسوره.

ولئن كان الاجتهاد في معاجم كلمات القرآن محدوداً؛ لا يعدو طريقة ترتيب الكلمات على جذورها، أو على صورها الواردة كما هي من دون رد إلى أصل أو جذر، فإن بابه في معاجم المعاني مفتوح على مصراعيه، يدعو الباحثين إلى ولوجه بفعالية وهمة.

[1] التربية بالقصة: عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر – ط2008/1– ص17

ذلك أن كتاب الله تعالى الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد؛ بحر زاخر بالمعاني، متجدد يُمد كل جيل من أجيال البشرية بأجوبة على أسئلتها المستجدة، وبمعان جديدة لآياته؛ يصقلها النظر المتعمق، ونمو المعارف البشرية المتواصل، وبحلول لمشكلاتها الطارئة؛ تلبي احتياجاتها المتنامية.

وعلى الرغم من اهتمام السلف بموضوعات القرآن والتأليف فيها كلاً على حدة، فإن إسهاماتهم في معاجم المعاني كانت محدودة، وأول من ألف فيها في العصر الحديث المستشرق جون لابوم في كتابه (تفصيل آيات القرآن)، الذي وزعها على عشر موضوعات رئيسية، فرَّع منها موضوعات فرعية؛ تُرتب على الباحث أن يقرر الفرع الذي يندرج فيه موضوعه، وأن يكرر محاولته كلما أخفق في تحديد هذا الفرع.

ثم سار على نهج جون لابوم عدد من المؤلفين المسلمين، أمثال د. محمد فارس بركات في الجامع لمواضيع آيات القرآن الكريم، وأحمد إبراهيم مهنا في تبويب آي القرآن من الناحية الموضوعية، ومحمد زكي في الترتيب والبيان عن تفصيل آي القرآن الكريم، ومحمد محمود إسماعيل في تصنيف آيات القرآن الكريم، ود. محمد حسن الحمصي في تفسير وبيان مفردات القرآن.

إلى أن قامت دار الفكر عام 1995 بإصدار (المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم) في جزأين من إعداد محمد بسام رشدي الزين، وإشراف محمد عدنان سالم. ويهدف هذا المعجم إلى جمع الآيات القرآنية التي يربطها موضوع واحد، وفرزها إلى موضوعات فرعية وأفكار جزئية، تظهر من خلالها وحدة الموضوع وترابطه المنطقي؛ ثم إخراج هذه الموضوعات الرئيسية والفرعية مرتبة ترتيباً معجمياً ألفبائياً.

يسعى هذا المعجم إلى خدمة الباحثين والدارسين، والخطباء والواعظين، وكل طالب علم، وطالب فهمٍ وتدبُّر لكتاب الله عز وجل، إذ يخفف على الباحث عناء البحث عن مراده إذا أراد تناول موضوع تطرق إليه القرآن العظيم، ويضع بين يديه مخطط البحث، وأفكاره الرئيسية.

وإذا كان المرحوم الأستاذ فؤاد عبد الباقي قد يَسَّر للباحثين مهمة الرجوع إلى آيات القرآن العظيم من خلال ألفاظه؛ فإن هذا المعجم ييسر لهم مهمة الرجوع إلى آيات القرآن العظيم من خلال موضوعاته؛ الرئيسية منها والفرعية.

فإذا رام الباحث التعرف على آيات الموضوع الذي يهمه، وليكن الحوار (على سبيل المثال) فإنه لن يجد في معجم كلمات القرآن غير آيتي الكهف {فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ} [الكهف 34/18]، و{قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ} [الكهف 37/18]، وآية المجادلة {وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا} [المجادلة 1/58].

لكنه في معجم معاني القرآن العظيم سيجد حوالي 80 صفحة على عمودين في موضوع الحوار؛ يتفرع منه على المستوى الثاني خمسة عشر موضوعاً؛ هي: الحوار: أسلوبه، حوار الإنسان مع الكائنات

الأخرى، الحوار الإنساني، الحوار بين الله وإبليس، الحوار بين الله والأنبياء، الحوار بين الله والإنسان، الحوار بين الله والملائكة، الحوار بين أهل النار، الحوار: شكله، ضرورته، قطعه، قواعده، الحوار المذموم، الحواريون.

ثم يتفرع من كل منها موضوعات على المستوى الثالث: فالحوار: قواعده (على سبيل المثال): يتفرع منه ثمانية فروع هي: الأدب، إظهار الحق، البعد عن التناقض، البعد عن المكابرة، التجرد، الصدق، طلب الدليل، العلم.

ثم يتفرع منها على المستوى الرابع موضوعات، فالحوار، الإنساني، الدعوي (على سبيل المثال) يتفرع منه: بين إبراهيم وقومه، بين شعيب وقومه، بين صالح وقومه، بين لوط وقومه، بين موسى وفرعون، بين موسى وقومه، بين موسى وهارون، بين نوح وابنه، بين نوح وقومه، بين هود وقومه، مع أهل الكتاب.

وعلى الرغم من انتفاع عدد كبير من الباحثين والخطباء بهذا المعجم، وإعادة طبعه؛ فإن الحاجة ماسة إلى تطويره، وتزويده بمداخل جديدة لموضوعات: إما أن عناوينها المفتاحية قد تغيرت بتغير الزمان، أو أن اكتشافات جديدة أضافت إليها معاني جديدة كالتي ستأتي الإشارة إليها في فصل الإعجاز القرآني.

ولا شك أن كل قراءةٍ جديدة واعية للقرآن سوف تضيف مفاتيح جديدة لكنوزه التي لا تنفد، تكون نواة لمكنـــزٍ يتنامى على مر الدهور.

الفصل الثاني: التجويد وعلم اللسانيات

على الرغم من أن «علم الأصوات - مصطلح- يعد علماً حديثاً، لا تتجاوز بداياته قرناً من الزمان؛ فإن أبحاثه كانت موجودة،ولعلماء العربية القدامى بحوث صوتية شهد المحدثون بِجدَّتها وجَوْدتها بالنظر لعصورهـــم.. فمن كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيـــدي (ت 170هـــ)، إلى (كتاب) سيبويه (ت 180هـــ)، توالت جهود العلماء من اللغويين؛ كالسيرافي (ت 368هـــ) وابن جني (ت 392هـــ) والزمخشري (ت 538هـــ). لكن رسالة ابن سينا (ت 428هـــ) في (حدوث الأصوات) التي أشار فيها إلى كنه الصوت وأسبابه، ووصفِ أجزاء الحنجرة واللسان؛ وصفَ طبيب مشرح، وعالم بأسرار الطبيعة تظل مميزة، ثم تتبعها جهود القراء؛ أمثال مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـــ)، وأبي عمرو الداني (ت 444هـــ)، لتتوقف نحو أربعة قرون، فيستأنفها ابن الجزري (ت 833هـــ).

وظلت كلها اجتراراً لآراء سيبويه، تلخيصاً وشرحاً من دون إضافة تذكر، حتى القرن الهجري الرابع عشر، حين ابتدأت بحوث المستشرقين المتعلقة بدراسة البحوث الصوتية للنحاة العرب، ومقارنتها بما

أمكن استخلاصه من عناصر النطق التقليدي بالعربية الفصحى، ونوعيات النطق بالألسن الدارجة. وكان كتاب (الأصوات اللغوية) لإبراهيم أنيس، الصادر أواسط القرن المنصرم، أول الدراسات الصوتية العربية.

ولئن اقتصرت مباحث علم التجويد على القرآن الكريم، فإن مصطلحاته هي ذاتها المصطلحات الصوتية التي عرفت عند علماء اللغة والنحو، مما يؤكد لنا السبق الشاسع الممتد لأكثر من عشرة قرون لعلماء العربية في علم الأصوات.غير أن هذا السبق الباهر، لا يسوِّغ لنا حالة الركود والاسترخاء التي اكتنفت نشاطنا العلمي، وجمدت بحوثنا في علم الأصوات عموماً، وعلم التجويد خصوصاً، عند جهود الأقدمين، المبنية على الحدس والظن والاستقراء والاستنتاج، من دون أي إحساس منا بمستجدات العصر وإمكاناته العلمية المتطورة في ظل ثورتي المعلومات والاتصالات، وما أخذه علماء اللسانيات المحدثين على علمائنا الأقدمين من انعدام الدقة في تحرير المصطلح، مثل استعمالهم (الحرف) للدلالة على الصوت اللغوي والرمز الكتابي معاً، في حين تفرق الدراسات الحديثة بينهما، لتفاوت انطباق لفظ الحرف على شكله المكتوب أحياناً.

لذا أجد من واجب الناشر العربي اليوم، العمل على ترميم هذه الفجوة أو الغفوة الطويلة، واستئناف الجهد في بحثٍ؛ علماؤنا هم الأجدر به لسبقهم إليه.

وثمة جانب آخر – في علم التجويد والتلاوة القرآنية– ينبغي على الناشرين التوجه إليه:

فعلى الرغم من الجهود المشكورة لمراكز تحفيظ القرآن مجوَّداً– في أنحاء العالمين العربي والإسلامي– فإن قطاعاً كبيراً من شبابنا بات يلحن بالقرآن لحناً غير مقبول، نظراً لتخفيض ساعات تعليم القرآن في المدارس، وتهميشها.. مما يرتب على الناشرين أن يقدموا لهم ثقافة قرآنية مساعدة؛ مبتكرةً تتجاوز المألوف، جاذبةً تشدهم إليها، تفاعليةً تشركهم في إنتاجها، واقعيةً تعالج مشكلاتهم التي يعانونها، مبسَّطةً تيسر لهم الاستماع بتلاوة مرتلةٍ للقرآن؛ تُقرأ باطمئنان وتؤدة، وتعطي كل حرف حقه؛ من مخرج، وصفة، وغنَّة، ومد، وتفخيم وترقيق، وهمس وجهر، وشدة ورخاوة، واستعلاء واستفال، وإطباق وانفتاح.. إلى آخر صفات الأصوات في علم التجويد[1]. وتخرج بهم من القراءة السطحية المعتادة،وتعالج– بحكمة ولطفٍ– ما درج على ألسنتهم من لحن في القرآن، يتمثل في:

- أخطاء في الحركات، وخاصة في أواخر الكلم التي قد تقلب الفاعل إلى مفعول به.
- أخطاءٍ في مخارج الحروف ناجمة عن البيئة؛ كالخلط بين القاف والغين عند أهل السودان الذين يقولون للبقر (بغراً) وللغنم (قنماً)، وبين الجيم والياء عند أهل الخليج ليصبح لفظ

[1] رَ: صفات الحروف (ملحق رقم1)

الزجاجة عندهم (زياية)، وبينها وبين الشين فيقال في اجتمعوا (اشتمعوا) وبين الضاد والظاء، وأحياناً الصاد والظاء عند آخرين.

- أخطاءٍ لدى المسلم غير العربي، بسبب غياب بعض الحروف العربية عن لغته، كغياب حرف الخاء والضاد عن معظم اللغات الأوربية، ولا شك أن المسلم- مثلما هو متعبد بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده- متعبد بتصحيح ألفاظه على النحو الذي نزل به.

«والناس في ذلك بين محسن مأجور، ومسيء (لا يطاوعه لسانه) معذور. أما القادر على النطق الصحيح بالعربي الفصيح، المصر على اللفظ القبيح، اتكالاً على ما ألف، فهو مقصر وآثم»[1].

الفصل الثالث: الإعجاز القرآني

تجلى الإعجاز القرآني عملياً لدى الجيل الأول، جيل التلقي بشقيه المشرك والمؤمن؛ ذلك الجيل الذي نشأ على الفصاحة والبلاغة وقوة البيان، يتبارى بها في سوق عكاظ كل عام..

فأما المشرك فقد وقف أمامه في البداية مذهولاً، يصفه بالسحر أحياناً، وبالشـــعر تارة، وأنه {أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الفرقان5/25] تارة أخرى، وكان كبراؤهم يسترقون السمع ليلاً لينصتوا إلى رسول الله (ص) – خلسة – وهو يصلي من الليل. وعندما أدركوا تأثيره في القلوب،وسلطانه على النفوس؛ تواصوا أن {لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت 26/41] خشية أن يفتنهم عما وجدوا عليه آباءهم. ووقفوا عاجزين عندما تحداهم: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *} [البقرة 23/2].

وأما المؤمن فقد عكف عليه قراءة ومدارسة وتطبيقاً وعملاً، فكان وعيه له وإقباله عليه سر إعجازه العملي في الواقع.

لم يدُر في خَلَد أحد من الأجيال الأولى أن يبحث نظرياً عن وجوه الإعجاز في القرآن، وإنما بدأ الكلامُ في الإعجاز القرآني والتأليف فيه، أواخر القرن الثاني للهجرة، وكان في بدايته دفاعاً عن القرآن في مواجهة ما أثاره الطاعنون فيه من أكاذيب وأباطيل وأول كتاب فيما أعلم فسر هذه الاتجاهات الفنية التي أثارت تساؤل الناس فيما يشبه الاعتراض على القرآن،هو كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة (ت 204هـــ).

[1] ملاحن القراء: للقاضي بن حامي، دار الفكر بيروت ص128

وبين القرنين الثالث والسادس للهجرة،وهي الفترة الذهبية، في غزارة العطاء الفكري للحضارة الإسلامية، طور العلماء المسلمون أبحاثهم في الإعجاز القرآني، إلى محاولات بادئة في تحديد مصطلح الإعجاز، على يد الجاحظ وابن قتيبة؛ تعمقت وتفرعت على يد كل من الرماني والخطابي والباقلاني، ثم تأصلت على يد الشريف الرضي وعبد القاهر الجرجاني.. ثم اقتصرت بعد القرن السادس على نوع من التكرار والاختصار؛ مؤذنة بجمود الحركة عند هذا المدى.

ويمكن تلخيص أوجه الإعجاز المعتمدة عند هؤلاء الراسخين من العلماء في أوجه ثلاثة:

1- الوجه البياني (البلاغة والنظم)،ويندرج تحته: التحدي للكافة، وترك المعارضة مع توفر الدواعي، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة.

2- الوجه التاريخي، أو الإخبار بالغيوب.

3- الوجه النفسي: الذي يتجلى في صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس.

أضاف إليها القاضي عياض (ت 543هـ) وجهاً رابعاً هو الوجه العلمي.

وفي العصر الحديث، عصر الانفجار المعرفي توسع الباحثون في هذا الوجه الأخير، فامتلأت المكتبات بكتب الإعجاز؛ العلمي، والطبي، والعددي، والتشريعي، والاقتصادي، والفكري، والفني، وما شاكل ذلك.. وأسرف بعض المؤلفين في هذا الموضوع بتحميل القرآن الكريم ما لا يحتمل، وربطه بكشوفٍ علمية، ونظريات غير مستقرة؛ لا تلبث أن ينكشف زيفها، ويحل محلها من النظريات ما يقلبها رأساً على عقب[1].

لكن مالك بن نبي في كتابه (الظاهرة القرآنية) يرى أنه إذا كان لا يليق بنا أن نعد القرآن كتاب علم، فإننا نلاحظ فيه مع ذلك آيات تلامس حقائق علمية لم يكن في مقدور العقل الإنساني وعيُها في عصر التنـــزيل، وفي ذلك ما يؤكد لنا المصدر الإلهي للأفكار القرآنية، التي يضعها القرآن في أيدي الأجيال، يحثها على الغوص في أعماقها لاكتشاف مدلولاتها، فيقدم كل جيل تفسيراً لها من خلال المعارف العلمية السائدة في زمانه:

«فإذا بالعقل- وهو الذي تعود أن يفكر فيما هو معلوم، وفيما هو قابل للعلم مما يتصل بالمستوى الإنساني-يجد نفسه وقد حُمل بعيداً ليلحظ من هنالك، في وميض آية من آيات القرآن، أفقاً من آفاق المعرفة المطلقة»[2]. وهكذا نرى أن القرآن من غير أن يلجأ إلى التفسير العلمي يضع لنا بعض المعالم على هذه الطريق: حول دوران الأرض وانتقاصها من أطرافها، ودحو قطبيها، وسباحة الأجرام السماوية في

---

[1] نظرية الإعجاز القرآني: أحمد سيد محمد عمار، دار الفكر ط1: 1998/ص30، 97،92،89،40

[2] الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي ص 284، دار الفكر، دمشق، ط 1987/4

أفلاكها، والليل والنهار، وقانون الانكسار في القبض اليسير، وضيق الصدر عند التصعد في السماء، وبداية خلق الإنسان من طين، وكون الماء أصلاً لكل شيء حي، والمصباح الذي يضيء ولو لم تمسسه نار، وأدوات الحرب الرهيبة التي سيستخدمها الإنسان بعد السلاح الأبيض، وفيها شواظ من نار ونحاس، وتمدد الكون غير المتناهي.

فإن نحن ذهبنا إلى ما أمدنا به القرآن الكريم حول هذا الأفق الأخير وهو قوله تعالى{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ *} [الذاريات 47/51].

فإن أول ما يلفت نظر العالم المتخصص في علوم الفضاء في هذا النص القرآني؛هو إثباته التمدد المستمر للكوْن، وهو ما تعنيه كلمة موسعون المشتقة من الفعل المزيد وسَّع وليس الفعل المجرد وَسِع.

فالنص القرآني لا يعبر فقط عن سعة الكوْن التي تعني ثباته وسكونه، كما كان يتخيله علماء الفيزياء المتأثرين بقوانين الجاذبية. وإنما يعبر عن توسعه المستمر والمتزايد والمتسارع؛ كما كشف عنه العالم الفلكي الأميركي أدوين هابل عام 1929، وأدى اكتشافه إلى إحداث تغيير كبير في علوم الفضاء، وفي طريقة التفكير التي كان العلماء يتبعونها في بحوثهم حول نشأة الكون.

لقد نظر هابل نظرة في النجوم، فرأى أنها لا تبتعد عن الأرض فحسب، بل يبتعد بعضها عن بعض، بما يشبه البالون عند نفخه، بحيث إنك إذا رسمت نقاطاً على البالون ثم نفخته، لرأيت أن النقاط على سطحه تتباعد ويتغير لونها؛ كلما ازددت في النفخ، تماماً كالذي يحصل للكون وهو يتسع.. تتوالد مجراته، تولد صغيرة ثم تكبر،وتكون متقاربة، ثم تتباعد مبتعدة عن مركز الانفجار الكوني الأول Big Bang.

لقد فسر لنا هابل وزملاؤه من العلماء تمدد الكوْن منذ الانفجار الأعظم، ولم يدر في خلَد هابل وزملائه أنهم قد فسروا لنا بذلك آيات معجزة من القرآن العظيم؛عجزنا نحن- بسبب تقاعسنا العلمي- عن تفسيرها في حركة الكون والمجرات، ولو قدِّر لهم أن يطلعوا على هذه الآيات لأضافوا إلى كشوفهم العلمية الاكتشاف الأهم الذي يطمئن الإنسان على أسئلته الأزليَّة الكبرى: من أين؟ ماذا قبل الانفجار الكوني الأول المستمر بالتمدد والتوسع؟ من الذي بدأ الخلق؟ وإلى أين ينتهي الخلق؟

فلنقرأ قصة خلق الكون كاملة كما يحكيها لنا القرآن المعجز!!:

1- الكون المتمثل لنا بالسماء التي تحيط بنا؛ تشرق علينا شمسه في النهار،وتتلألأ لنا نجومه في الليل؛ إنما هو خلق الله، الذي أتقن بناءه، منذ أوجد بذرته الأولى، التي أخذت تنمو وتتسع، ضمن قوانين ثابتة ونظام محكم بديع: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ *} [الذاريات 47/51].

2- وهذا الخلق بنظامه البديع، إنما هو آية من آيات الله تعالى المسخرة للإنسان؛ عليه أن يعمل عقله وفكره فيها ويحسن استثمارها {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ *} [آل عمران 190/3]

3- ولقد بدأ الله خلق الكون من نقطة الصفر.. بدأه كتلة واحدة (رتقاً) ثم فتقه ليتعاظم ويتكاثر {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} [الأنبياء 30/21].

4- وكما كان الكون قد بدأ من العدم بذرة خلقها الله قابلة للتمدد والاتساع، فإنه حتماً سيكون قابلاً للانكماش والتلاشي إلى العدم {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} [الأنبياء 104/21] {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم 27/30].

5- وعلى الإنسان أن يحدّق نظـره في الكون، ويستكشف أسـراره التي تكفل الله بتجليتها له حين يجتهد لاكتشـافها {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} [فصلت53/41].

ثم لننظر ماذا عند المفسرين على مر العصور:

لقد تتبعت تفسير هذه الآية {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ *} [الذاريات 47/51]، لدى ثلاثين مفسراً؛ منذ ابن عباس في القرن الهجري الأول، وحتى القـرن الحالي الخامس عشر؛ فلم أجد عند أحد منهم زيادة على ما فسرها به؛ {بَنَيْنَاهَا} خلقناها، {بِأَيْدٍ} بقوة {وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} لقادرون على توسيعها، مع بعض الاختلاف في الشروح، وإيراد أقوال أخرى؛ تبتعد بالكلمات عن معانيها المعجمية.. بل إني لمحت عند ابن عباس- وحده- ما يلامس الاكتشاف العلمي الأخير، ولو عن غير قصد إذ يقول {وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} لها ما نشاء[1]. كما لمحت مثل ذلك عند القاسمي من المتأخرين إذ يقول في تفسير الآية: وإنا لقادرون على الإيساع[2].

حتى سيد قطب (في ظلال القرآن)، فإنه يقول: «والسعة ظاهرة، فهذه النجوم ذات الأحجام الهائلة، والتي تعد بالملايين، لا تعدو أن تكون ذرات متناثرة في هذا الفضاء الرحيب»[3] ولم يفطن إلى أن (موسعون) مشتقة من الفعل المزيد (وسَّع) الذي يعني استمرارية التوسيع، وليس من الفعل المجرد (وَسِع).

إن هذا التكرار لدى مفسرينا على جلالة أقدارهم، ربما كان ناجماً عن تقديس الماضي، وعدم الجرأة على استثمار مستجدات العلوم في تفسير القرآن الذي (لا تنقضي عجائبه) ولا يكف عن العطاء.. مما شجع بعض العلماء المتخصصين في العلوم البحتة والتطبيقية، على أن يدلو بدلوهم في التفسير العلمي

[1] تنوير المقباس (تفسير ابن عباس) للفيروز آبادي- دار الفكر بيروت- ص 522

[2] محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي، ج9 ص3737 دار الفكر بيروت ط1

[3] في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق. طبعة 1974- ج6 ص 3385

للقرآن، منقبين عن كنوزه المعجزة التي تسابق الكشوف العلمية؛ تحثهم على ارتياد الآفاق بحثاً عن الأسرار المكنونة فيها.

وبعد فالذي تطمئن إليه النفس من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم هو ما وصفه به رسول الله (ص)، أنه «... لا يزيغ فيُستعتب، ولا يعوج فيقوَّم، ولا تنقضي عجائبه،ولا يخلَق من كثرة الرد» [أخرجه الحاكم 555/1 من حديث عبد الله ابن مسعود].

فالقرآن الكريم كان المعجزة الكبرى لخاتم النبيين، امتن الله تعالى بها على الناس، حين سألوا الرسول أن يأتيهم بالمعجزات الكونية، شأن الرسل من قبله، فكان الجواب الرباني {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ}[العنكبوت 51/29].

وختمُ النبوة بهذا الكتاب المبين، معناه أن الله تعالى قد أهدى البشرية دستورها الخالد، ليكون رفيقها وهاديها إلى أن يرث الله تعالى الأرض، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

أليس عجيباً أن يكون النص الثابت، الذي صانه الله تعالى من التبديل والتحريف، ملبياً لحاجات البشرية المتجددة المتطورة النامية؟!

نعم،وذلك هو سر إعجازه؛ ينهل منه كل جيل من أجيال البشرية ما يحل به مشكلاته الحاضرة، ويخطط به آفاق مستقبله، بحسب طاقته العلمية، وحصيلته المعرفية، وكأنه يتنـــزل عليه من السماء لتوه؛ قرآناً عربياً غضاً نابضاً بالنضرة والحياة، يستوعب المكان والزمان، ماضيَه وحاضره، بل هو يضيء للبشر آفاق مستقبلهم، داعماً آياته في الكتاب بآياته في الكون والحياة {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} [فصلت53/41]. ومرة أخرى يتساءل الناس: إن كلَّ طاقة مهما تعاظمت، فإنها آيلة إلى النفاد، وكلَّ حقيقة مهما ترسخت، فإنها صائرة إلى أن تخلي مكانها لحقيقة أحدث كشفاً وأكثر نفعاً.

فما لهذا القرآن لا تنقضي عجائبه،ولا يكف عن العطاء؟!

ويأتي الجواب من القرآن: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ} [لقمان27/31].

ولسوف تظل معاني القرآن المتجددة تتدفق مثل سحابةٍ مدرارٍ تغيث كل مستغيث، ورحمٍ ولودٍ تجدد الحياة للبشرية كلما أخلدت إلى الأرض، وانتابتها أعراض الشيخوخة والكسل، وطاقةٍ زاخرةٍ تمدها بالقوة، كلما أوشكت شعلتها تخبو، ووقودها ينفد، ومادَّةٍ متجددةٍ تحث الناشرين على ارتيادها، واستكتاب المؤلفين حولها.

الباب الثالث: خدمة النشر الإلكتروني الشامل للنص القرآني وعلومه

من الضروري جداً أن ندرك اللحظة الراهنة؛ التي يشهد فيها الإنسان أخطر التحولات في تاريخه الطويل، إذ يتحول بسرعة مذهلة من عصر الصناعة وأدواته المادية المحدودة، إلى عصر المعرفة وأدواته الإلكترونية المتفجرة بلا حدود، والتي لم تترك للمسلم عذراً في قراءته السطحية للقرآن الكريم؛ لمجرد التبرك، من دون تدبر لمعانيه ووعي لمفاهيمه، يعينان على وضعه في موقع الفاعلية والتأثير.

فإذا كانت المصاحف الورقية المبثوثة بين أيدي المسلمين، لا تسعف القارئ بأكثر من تلوين لفظ الجلالة باللون الأحمر، وبتفسير مختصر- أحياناً – على هامشه، وبعض أحكام التجويد المساعدة التي لن تغنيه عن التدرب بالمشافهة.. فإن المصاحف الإلكترونية الآخذة بالانتشار، والمستمرة بالتطور، قد وفَّرت له كل متطلبات التلاوة الحق.

وإنني لعلى ثقة من أن صلة الأجيال الجديدة بالقرآن الكريم ستكون أفضل من صلة الآباء، نظراً للإمكانات الكبيرة المتاحة بين أيديهم من جهة، ولإتقانهم التعامل معها من جهة أخرى: فإذا ما أقبل شاب على كتاب الله تعالى؛ يروم تلاوة ورده اليومي، أو أي تلاوة مختارة؛ قدمت له البرامج الإلكترونية:

1- النص: بدءاً بالصفحة أو الآية التي سبق أن توقَّف عندها. مكتوباً بالرسم العثماني؛ يقابله نص بالرسم الإملائي المعتاد، وبعلامات الترقيم المتعارف عليها، يوضح له ما أشكل عليه فيه. كلاهما قابل للتصغير والتكبير حسب حاجة القارئ.

2- تلاوةً مقروءة بصوت قارئ يختاره، لآية أو كلمة، يقيم لسانه بها، أو لسورة يصغي إليها؛ يتدرب بسماعها على تجويد تلاوته، وتحسين إخراجه لحروفها[1].

3- طرائقَ تفاعلية تعينه على الحفظ حين يريده؛ تكرر له النص مقطعاً ومتلواً بطريقة مناسبة، وتستمع إليه منه بصوته، وتصحح له أخطاءه، حتى يجيدها.

4- ولاشك أن فهم النص، وإدراكَ معانيه وأبعادِه، وإعمالَ العقل في تدبُّره، من أهم ما يُساعد على حفظه من جهة، وعلى العمل بما فيه من جهة أخرى.

5- وأسبابُ نزول الآيات – حين توجد- والظروفُ المحيطة بتنـــزل بعضها، هي من أهم ما يعين على فهمها، وفهم الأحكام التي تستنبط منها، أو تقاس عليها.

6- والنص قد يكون من الوضوح، بحيث لا يحتاج القارئ معه إلى شرح، فيتمثله ويمضي، حتى إذا وقع على كلمة استغلقت عليه، أمكنه التوقف عندها، والرجوع بها إلى معجم لتفسير كلمات القرآن، وقد تكون هذه الكلمة من المشترك اللفظي، الذي يتكرر لفظه ويختلف معناه من آية لأخرى مثل كلمة

---

[1] رَ: لوحة مخارج الحروف (ملحق رقم 2)

(الروح) التي تعني جبريل عليه السلام في آية، وتعني الوحي في أخرى، وتعني رحمة الله في ثالثة، وخَلْقه في رابعة، فيستوعبها جميعاً، ثم يعود لاستئناف تلاوته من حيث توقف بها.

7- فإن لم يقنعه التفسير الجزئي للكلمة، وأراد استكمال ورده اليومي، وضع عندها تعليقاً وإشارة للعودة إليها ومتابعة البحث فيها، ومضى.

8- أما إذا لم يسطع عليها صبراً، وأراد أن يحيط بها خُبراً؛ فإن البرنامج سيكون قادراً على تزويده بكل ما يشتهي من تفاسير للقرآن؛ وجيزة، أو متوسطة، أو مطولة، حديثة أو قديمة.. ينتقي منها ما يشاء، ويضعه في ملف خاص بطريقة القصِّ واللصق، في برنامج معالج الكلمات والنشر المكتبي، ليقارن بين مختاراته، ويستنتج منها ما اطمأنت إليه نفسه، مما قد يعود إليه ليغنيه في قراءات لاحقة.

9- فإن لم تسعفه التفاسير، أو أراد أن يستفسر القرآن عما أشكل عليه فيه، فإن له أن يتحول عنها إلى معاجم كلمات القرآن، التي تعتمد الكلمة ذاتها أو جذرها مدخلاً لها، باحثاً عن ترددادتها فيه، عله يجد فيها إربه، ثم إلى معاجم معاني القرآن؛ يقارن بين الآيات الواردة في المعنى ذاته، ويستخلص منها ما يلبي قلقه، ليضيفه إلى ملف تعليقاته.

10- فإن دفعه قلقه إلى الاستزادة من البحث،فثمة فرصة يتيحها له البرنامج للتجوال في كتب الدراسات القرآنية، باحثاً فيها عن موضوعه؛ فلا بد أن يكون البرنامج مزوداً بعدد كبير من هذه الكتب، مع محركات بحث ومفاتيح قادرة على الولوج إلى المواضيع فيها.

11- فإن لم يكتف بما زوده به البرنامج باللغة العربية، أمكنه التحول إلى ترجماتٍ لمعاني القرآن ودراسات لمواضيعه بلغات أخرى، لمؤلفين مسلمين أو مستشرقين.

12- وهكذا يتجدد كتاب الله تعالى بين يديه، ليجد في كل قراءة جديدة له؛ جديداً يبحث عنه، فيكون لتكرار التلاوة معنى، ويتحقق وصف الرسول (ص) له بأنه «لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد». [أخرجه الحاكم555/1 من حديث عبد الله بن مسعود].

***

يتابع القارئ ذلك كله، وهو في مجلسه ذاته، وراء جهازه الذي كلما طلب منه شيئاً؛ أجابه – مثل عفريت سليمان –: {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} [سورة النمل40/27].

إنه النص المتفرع Hypertext الذي أتاحه لنا عصر الشابكة (الإنترنت)، الذي يذكرنا بالنص المتفرع الذي عرفناه عند أبي العباس المبرِّد في كتابه (الكامل)، الذي يتوقف عند كلمة أو حادثة تاريخية ليشرحها في صلب النص، ثم يتوقف ثانية عند بيت من الشعر أو علم من الأعلام، ليشرح القصيدة والشاعر وشعره،وما واجهه من نقد، فتستوقفه مسألة جديدة قد يتفرع منها مسائل أخرى، ليعود إلى سياق النص الأصلي، بعد عدد من الصفحات قد يتجاوز الثلاثين. كما عرفنا النص المتفرع عند أسلافنا،

متمثلاً في المتن والشرح والحاشية والتعليق على الصفحة الواحدة ذاتها، مع الفرق الكبير في الحجم والأدوات التي أصبحت تكتُب باللمس أحرفاً من نور، على شاشة تختزل مئات آلاف الصفحات.

تلك الإمكانات الكبيرة التي تم استيعابها ضمن المحتوى الرقمي العربي، على الشابكة (الإنترنت)، الذي ما زال دون الطموح على الرغم مما حققه من تقدم ملحوظ في مجال تداول المعلومات التي أسهم بها عدد كبير من مراكز الأبحاث والشركات والمؤسسات العربية[1].

وساعد على تطويرها واستعادة معلوماتها محركات البحث العالمية، مثل جوجل (Google)، وبينغ (Bing)، وياهو (Yahoo)، وألتفستا (Altavista) وإم إس إن (MSN).

لكن في مجال الدراسات القرآنية ما يزال هناك إمكانات للتنمية والتطوير بالمحتوى الخاص بعلوم القرآن، رغم الجهود المميزة، والمقدمة من بعض الأفراد أو المؤسسات التعليمية أو المراكز البحثية أو المواقع الخيرية الإسلامية. ورغم توفر أجهزة القرآن (Penman) التي تقرأ وتترجم وتفسر، وكذلك القلم الإلكتروني لقراءة القرآن، وبعض المواقع التي تهتم بعلوم القرآن، أمثال:

1- مركز الدراسات القرآنية، التابع لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – www.qurancomplex.com
2- مركز الدراسات والمعلومات القرآنية- معهد الإمام الشاطبي – www.qsc.org.sa
3- ملتقى أهل التفسير – www.Tafsir.net
4- المعهد العالي للقراءات والدراسات القرآنية- في جامعة العلوم الإسلامية العالمية – www.wise.edu.jo
5- كتاب الله- د. راتب السمان – www.kitabuallah.com
6- الإعجاز العددي في القرآن- أ.يحيى السقاف – www.alargam.com
7- طريق القرآن – www.quranway.net
8- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة – www.quran-m.com
9- الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - رابطة العالم الإسلامي – www.eajaz.org
10- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة- عبد الدائم الكحيل – www.kaheel7.com
11- موقع الدكتور: زغلول النجار – www.elnaggarzr.com

[1] المحتوى الرقمي العربي: وهو مجموع مواقع وصفحات الويب التي كتبت بالعربية ويشكل أقل من 2% من المحتوى المتوفر على الإنترنت، وهذه النسبة تعتبر متدنية، إذا أخذنا بالاعتبار عدد الناطقين باللغة العربية بالعالم (400 مليون) وباعتبارها لغة القرآن لأكثر من مليار وربع مسلم في العالم.

12- نون للدراسات القرآنية- م. بسام جرار - www.Islamnoon.com

والباب مفتوح على مصراعيْه أمام الناشرين؛ الذين يملكون المحتوى المختزَن في كتبهم الورقية، الذي يمكن أن يشكل نواةً واعدةً لنشر إلكتروني؛ ما إن تطرقْ أبوابه حتى يفتح لها ذراعيْه، ويضعَ إمكاناته في خدمتها، ويأخذ بأيديها إلى آفاق بعيدة لم تكن تحلم بها أو تتصورها.

فإذا نحن أخذنا المكتبة القرآنية لدار الفكر؛ نموذجاً للناشر، بكل ما تحتويه من تفاسير موجزة ومتوسطة ومطولة،ومن معاجم للكلمات والمعاني، ودراساتٍ منوعة لعلوم القرآن كالترادف والتشابه والتضاد، وأطالس تتضمن صوراً وخرائط للأماكن والوقائع الواردة فيه.. أدركنا حجم النواة الإلكترونية التي تمتلكها.

ولنأخذ سورة آل عمران مثالاً، فقد تناولت السورة أحداث معركتي بدر وأحد في نحو ستين آية منها، وكم يكون من الملائم تقديم هذه الأحداث مسرودة من كتابها (فقه السيرة النبوية) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ومصورة من أطالسها للقرآن الكريم والسيرة النبوية للدكتور شوقي أبو خليل، إضافة إلى تفاسيرها الموجزة والمطولة من الدكتور وهبة الزحيلي، وربما يكون ذلك مدعاةً لتقديم هذا المحتوى كله في فيلم يثبِّت أحداث المعركتين والعبر المستفادة منهما في ذهن القارئ.

الملحق الأول
قائمة تبين صفات الحروف

الحروف	صفات لها ضد					الصفات التي لا ضد لها	
	جهر و همس	شدة بينية رخاوة	استعلاء و استفال	إطباق و انفتاح	إصمات و إذلاق		خفاء في المد
أ	جهر	شدة	استفال	انفتاح	إصمات		خفاء في المد
ب	جهر	شدة	استفال	انفتاح	إصمات	قلقلة	
ت	همس	شدة	استفال	انفتاح	إصمات		
ث	همس	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات		
ج	جهر	شدة	استفال	انفتاح	إصمات	قلقلة	
ح	همس	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات		خ
خ	همس	رخاوة	استعلاء	انفتاح	إصمات		
د	جهر	شدة	استفال	انفتاح	إصمات	قلقلة	
ذ	جهر	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات		
ر	جهر	بينية	حالات	انفتاح	إذلاق	انحراف	تكرير
ز	جهر	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات	صفير	
س	همس	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات	صفير	
ش	همس	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات		
ص	همس	رخاوة	استعلاء	إطباق	إصمات	صفير	
ض	جهر	رخاوة	استعلاء	إطباق	إصمات	استطالة	
ط	جهر	شدة	استعلاء	إطباق	إصمات	قلقلة	
ظ	جهر	رخاوة	استعلاء	إطباق	إصمات		
ع	جهر	بينية	استفال	انفتاح	إصمات		
غ	جهر	رخاوة	استعلاء	انفتاح	إصمات		
ف	جهر	رخاوة	استفال	انفتاح	إذلاق		
ق	جهر	شدة	استعلاء	انفتاح	إصمات	قلقلة	
ك	همس	شدة	استفال	انفتاح	إصمات		
ل	جهر	بينية	حالات	انفتاح	إذلاق	انحراف	
م	جهر	بينية	استفال	انفتاح	إذلاق	انحراف	
ن	جهر	بينية	استفال	انفتاح	إذلاق	غنة	
هـ	همس	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات	خفاء	
و	جهر	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات	لين	خفاء في المد
ي	جهر	رخاوة	استفال	انفتاح	إصمات	لين	خفاء في المد

الملحق الثاني

صور تبين مخارج الحروف

الأسنان (٣٢)

أقسام الحنك الأعلى

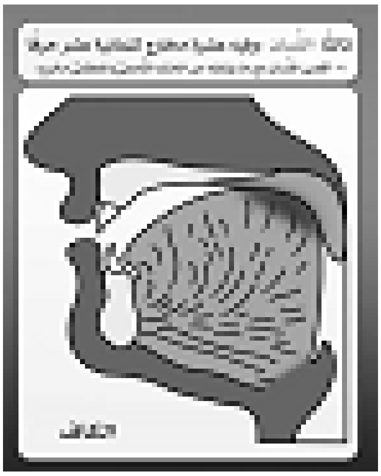

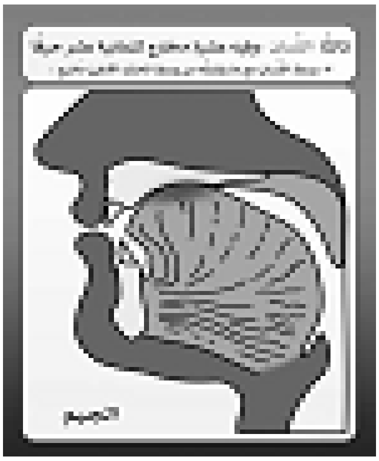

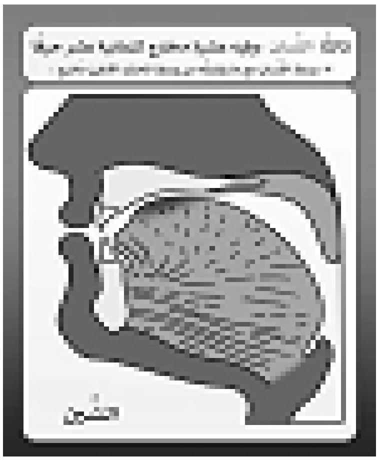

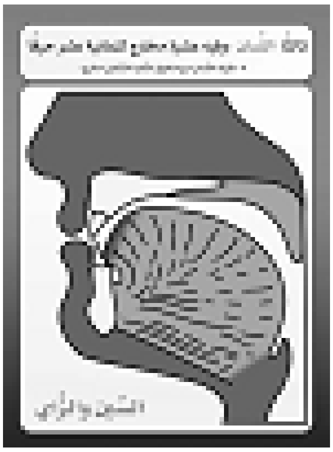

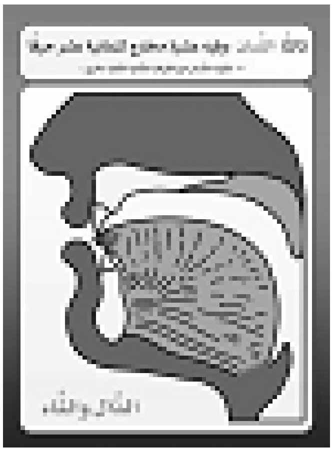

الواو

الميم

الباء

النّون

الميم

المصادر والمراجع

- اتساع الدلالة في الخطاب القرآني: د. محمد نور الدين المنجد. دار الفكر دمشق- ط2010/1م.
- أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي: د. محمد مسعود علي حسن عيسى، دار السلام- القاهرة، ط2009/1م.
- الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم:محمد نور الدين المنجد، دار الفكر دمشق، ط1999/1م.
- إعجاز رسم القرآن، وإعجاز التلاوة: محمد شحلول، تقديم علي جمعة، دار السلام- القاهرة- ط2010/3م.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي، دار الفكر - بيروت ط2005م.
- تاريخ توثيق نص القرآن الكريم: خالد عبد الرحمن العك، دار الفكر، دمشق ط1986/2م.
- التبيان في آداب حملة القرآن: الإمام يحيى بن شرف النووي- دار السلام- القاهرة- ط2008/5م.
- الترادف في القرآن الكريم: محمد نور الدين المنجد، دار الفكر دمشق، ط2007/2م.
- التربية بالقصة: عبد الرحمن النحلاوي: دار الفكر بدمشق، ط 2008 م.
- التضاد في القرآن الكريم: محمد نور الدين المنجد، دار الفكر دمشق، ط2007م.
- تفسير ابن عباس (تنوير المقباس) للفيروز آبادي، دار الفكر بيروت.
- تفسير ابن كثير، دار الفكر بيروت، ط2009م.
- تفسير (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر بيروت ط2005م.
- تفسير الخازن، وبهامشه البغوي، دار الفكر بيروت ط 1979م.
- تفسير (الدر المنثور) للسيوطي، دار الفكر بيروت.
- تفسير (روح البيان) للبروسوي، دار الفكر بيروت،ط 2006/1م.
- تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، دار الفكر بيروت، ط2010م.
- تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، دار الفكر بيروت
- تفسير (الفتوحات الإلهية) للجمل، دار الفكر بيروت، ط2009م.
- تفسير الفخر الرازي، دار الفكر بيروت، ط 2005/1م.
- تفسير القاسمي(محاسن التأويل)، دار الفكر بيروت، ط2005/1م.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، دار الفكر بيروت ط1.
- تفسير (الكشاف) للزمخشري، دار الفكر بيروت ط 2006م.

- تفسير الوسيط، لسيد طنطاوي، موقع التفاسير www.altafsir.com
- التكميل والإتمام: ابن عسكر، تحقيق حسن مروة؛ دار الفكر، ط1/1997م.
- خلاصة ما في صريح النص: محمد هيثم منيني، دار الفكر دمشق، ط1/1996م.
- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رضوان وفايز الداية، دار الفكر دمشق ط1/2007م.
- رسم المصحف (دراسة لغوية تاريخية): غانم قدوري الحمد.
- الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي، دار الفكر دمشق – ط10/2012م.
- العادة الثامنة: ستيفن كوفي، دار الفكر دمشق– ط6/2012م.
- القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي:د. محمود أحمد الصغير، دار الفكر بدمشق ط1/1999م.
- القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية: د. محمد الحبش، دار الفكر دمشق، ط1/1999م.
- الكتاب الأوسط في علم القراءات: للإمام الحسن بن علي بن سعيد المقرئ العماني، تحقيق عزة حسن، دار الفكر دمشق، ط1/2006م.
- المحكم في نقط المصاحف: أبو عمرو الداني، تحقيق د. عزة حسن، دار الفكر دمشق، ط2/1997م.
- المخطوط العربي، دراسة في أبعاد الزمان والمكان: إياد خالد الطباع، وزارة الثقافة: الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1/2010م.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: د. عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، ط 2007م.
- معجم كلمات القرآن العظيم: محمد عدنان سالم ومحمد وهبي سليمان. دار الفكر دمشق – ط1/1997م.
- المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم: محمد بسام الزين ومحمد عدنان سالم ط3/2010م.
- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار: أبو عمرو الداني، تحقيق محمد أحمد دهمان– دار الفكر بدمشق– ط1/1983م.
- ملاحن القراء: للقاضي بن حامي، تحقيق محمد عبد الله بن عمر؛ دار الفكر، بيروت.
- الملخص المفيد في علم التجويد: محمد أحمد معبد؛ دار السلام، القاهرة ط13/2010م.
- نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم: د. أحمد سيد محمد عمار، دار الفكر دمشق ط1/ 1998م.